الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس – المدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية




قسم: العلوم الإنسانية

*الشعبة: تاريخ*

# التداعيات الحضارية لسقوط طليطلة

# (478 هـ / 1086م )

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في تخصص :تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

من إعـــداد:

✓بوشرف آمنة

تحت إشـراف الأستـاذة:

– أ.مُحَمَّد بخيتي

السنة الجامعية 1440هـ– 1441هـ/2020 م _ 2021 م


بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وعرفان

**كن عالما فإن لم تستطع فكن متعلما فإن لم تستطع فأحب العلماء فإن لم تستطع فلا تبغضهم**

أتقدم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ الفاضل **أ.مُحَمَّد بخيتي** على ماحظيت به من إشراف كريم وصبر جميل وتوجيه مفيد ونصح سديد ،فقد منحني من علمه وتجاربه وسديد رأيه ودقة ملاحظاته ما جعل العسير سهلا والبعيد أقرب منالا .

و بالمثل أتقدم بخالص الشكر للأعضاء المناقشين لهذا العمل لتصويبي أخطائي متمنية لهم التسديد والصواب، وإلى كل الأساتذة بالكلية وكل من ساهم في إخراج هذا العمل إلى

# إهداء

إلى من وضع المولى سبحانه وتعالى الجنة تحت قدميها ووقرها في كتابه العزيز **أمي الحبيبة** .

إلى من رباني على حب العلم منذ الصغر واعتمدت عليه في كل صغيرة وكبيرة **أبي الغالي**.

إلى من ينافس الغيث في العطايا وسبق الحياة في السجايا **زوجي العزيز** .

إلى من أدين لهم بالفضل وألمس منهم النبل **إخواني وأخواتي** .

إلى أصدقائي ومعارفي الذين أجلهم وأحترمهم وعلى وجه الخصوص **عقيلة** .

إلى روحي قدوتي والشخصية الفذة الأستاذ **موهوبي نور الدين** رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه إلى **أساتذتي في الكلية** أهدي هذا البحث المتواضع .

# قائمة المختصرات

| الكلمة | مختصرها |
|---|---|
| الصفحة | ص |
| الجزء | ج |
| القسم | ق |
| المجلد | مج |
| الطبعة | ط |
| الميلادي | م |
| قبل الميلاد | ق م |
| الهجري | هـ |
| تحقيق | تح |
| ضبط | ض |
| دون طبعة | د ط |
| دون تاريخ | د ت |

# مـقدمــة

مقدمة:

شهدت الأندلس كغيرها من الأمصار الإسلامية قيام عدة دول أو مدن، ومن أهم مدنها طليطلة، لما كان لها من تاريخ سياسي ونفوذ في الأندلس، ولما بلغته العلوم والآداب والحرف والعمران من شأن عظيم في التقدم والازدهار بها.

كما مرت المدينة بمراحل الضعف والاضمحلال ، وبهذا تظهر ملامح طابع جديد للتأريخ يتناول الأزمة وتداعياتها، فلم تنل هذه المواضيع الحظ الوافر من الدراسات والبحوث اليسيرة، في حين تستحق هذه المواضيع الوقوف عندها ودراستها بعمق وتمعن، خاصة إذا أردنا بناء نسق تاريخي متكامل حول التاريخ الإسلامي في الأندلس، وفي جميع عناصر التكوين الحضاري والسياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي، وخلال مختلف الفترات الزمنية سواء في مراحل القوة أو الضعف.

و بناءا على ما ذكر أردنا التوصل إلى تشخيص عميق لعوامل وتداعيات سقوط أهم المدن الإسلامية في الأندلس متمثلا في مدينة طليطلة، وعليه سميت هذه الدراسة بعنوان: **"التداعيات الحضارية لسقوط طليطلة "**

**أسباب اختيار الموضوع :**

تم اختيار هذا الموضوع انطلاقا من أسباب ذاتية وموضوعية تتمثل في :

ـ أن أهمية التاريخ تكمن أساسا في كونه عبرة ومعلم طريق لذلك رأيت أن تكون دراستي حول ظاهر تاريخية تحمل الكثير من العبر " الاضمحلال الدولي ".

ـ الكشف عن الدور السياسي والحضاري الكبير لهذه المدينة والذي كان له أثر في تاريخ بلاد الأندلس وحضارتها.

**أهمية الموضوع :**

يستمد الموضوع أهميته في :

ـ كونه يلج بنا في شتى ميادين التكوين الحضاري لمدينة طليطلة، ويمكننا من تتبع تطورها منذ قيامها وحتى نهايتها، وكذلك يسمح بمعرفة عوامل سقوطها وتابعيات ذلك، ومن جهة أخرى يمكننا من معرفة الظروف

التاريخية التي خلفها سقوطها، وهو ما يسهل الدراسة المرجعية السياسية والثقافية للدويلات التي قامت أنقاضها.

**الإشكالية**

كانت الإشكالية الرئيسية لموضوعنا هي : **إلى أي مدى أثر سقوط طليطلة في الجانب الحضاري على العالمين الإسلامي والمسيحي ؟**

وللإلمام بجوانب هذا الموضوع حاولنا الإجابة على التساؤلات التالية:

ـ ما هي الظروف التاريخية التي ساهمت في بناء طليطلة وانضمامها للمدن الإسلامية، وهل لهذه الظروف دور في سقوط المدينة؟

ـ ما هي الظروف العامة لمدينة طليطلة في طور ازدهارها سياسيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا، وهل كانت تحمل المدينة بذور انهيارها، منذ هذه المرحلة التاريخية.؟

ـ ما هي أبرز الأسباب التي حطمت المدينة ؟ وإلى أي مدى أثرت على الجوانب الحضارية للغرب الإسلامي؟

**الدراسات السابقة**

تناولت دراسات سابقة لهذا الموضوع وكانت مجملها تستند على التعريف بالتاريخ السياسي لهذه المدينة بحكم اثر سقوطها ووقعها على العالم الإسلامي، أما الجانب الحضاري وما مميزه كان غامضا نوعا ما في الدراسات التي تناولت تاريخ هذه المدينة وبالضبط في الفترة المتناولة في الموضوع .

**المنهج المعتمد في الدراسة**

و اعتمدت في هذا البحث عن **المنهج التاريخي** الذي يقوم على:

ـ التحليل والوصف والوقوف على حيثيات المشهد العام لطليطلة.

ـ واستقراء واستنباط أهم أسباب سقوطها وانعكاساتها و المقارنة بين المشاهد التاريخية، وإتباعها بمجموعة من الاستنتاجات والتحليلات لفهم وإدراك نصوص المؤرخين وأراء الدارسين للوقوف على أهم جزئيات الدراسة .

**الخطة المعتمدة**

للإجابة على هذه الإشكاليات رسمت خطة موسعة للمشهد التاريخي لطليطلة خلال العهد الإسلامي، استهليتها **بالمبحث الأول** خصصت فيه التحدث عن **المدينة في العهد الإسلامي** من حيث أهميتها الجغرافية ووضع المدينة خلال الحقبة الإسلامي في الأندلس وتطورها وازدهارها، وذلك بالتركيبة الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية والحياة الثقافية.

أما **المبحث الثاني** فتطرقت فيه إلى **سقوط طليطلة** ودراسة الأوضاع قبل سقوطها وكيفية حصارها.

**و المبحث الثالث** تمحصت فيه كيف أصبحت **طليطلة معبر حضاري** ملخصة أهم التداعيات التي أفرزها سقوط الدولة والظروف التي نجمت عن ذلك في شتى مجالات الحياة.

و في خاتمة البحث عرضنا أهم ما يمكن استخلاصه من هذه الدراسة كإجابة على ما ورد من تساؤلات، فضلا عن تضمن البحث لمجموعة من الملاحق التي رأيتها وظيفية وهادفة ومثيرة للدراسة. و في الأخير ثبت الموضوع بأهم المصادر والمراجع المعتمد في البحث ثم اتبعتها بفهرس لمحتويات البحث مفصلا مع ذكر الصفحات.

**عرض أهم المصادر والمراجع**

واعتمدت في دراستي هذه على مصادر ومراجع أهمها:

**1/ كتب الجغرافيا والرحلات:**

ـ كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول من القرن السادس هجري، يحتوي هذا الكتاب على معلومات هامة حول الحيات الاقتصادية والاجتماعية لأقطار المغرب الإسلامي.

ـ كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار ويعد هذا الكتاب معجما جغرافيا هاما لمدن الأندلس والمغرب، كما يضم معلومات تاريخية لها صلة مباشرة بتلك المدن التي أوردها.

ـ كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي (560ه-1164م) وتكمن أهمية الكتاب في المعلومات الاجتماعية وحتى لاقتصادية التي يحتويها.

ـكتاب ابن حوقل صورة الأرض وقد أفادني هذا الكتاب في الحديث عن جغرافية طليطلة وفي الأحوال العمرانية.

**2/كتب التاريخ العام:**

ـكتاب العبر لعبد الرحمان ابن خلدون (ت800ه-1406م) وهو عبارة عن موسوعة شاملة لعدة دول ومدن منها طليطلة.

ـ البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن عذارى المراكشي، ويعد هذا الكتاب من أهم مصادر تاريخ الغرب الإسلامي وقد استفدت من أجزائه خاصة الثاني والثالث التي خصصت للأندلس حيث تحدث فيه عن جوانب مختلفة .

ـكتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية وهو من أهم المصادر الأندلسية، أفادني في فترة حكم الولاة في الأندلس.

ـ كتاب نفح الطيب للمقري وهو كتاب يشمل جميع المعلومات والآراء ويؤكد معلومات المؤرخين السابقين ،وكانت الاستفادة منه في عصر الإمارة الأموية .

**3/ كتب التراجم والطبقات:**

ـكتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن محمد عبد الله المراكشي وهذا الكتاب لكتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، وكتاب الصلة لابن بشكوال، وتتمة لما جاء من أئمة من بعد ابن بشكوال استدراكا لما فاته، وقد أفادني هذا الكتاب في معرفة جوانب من المدينة ودور العلماء فيها.

ـ كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الآبار محمد بن عبد الله (ت 668ه-1256م)، وهو تكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال ويحتوي تراجم الأسماء علماء الأندلس وأئمته واستفدت من هذا الكتاب في تقصي علاقة العلماء بالجانب الثقافي في طليطلة .

ـ كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب (ت776ه_ 1374) وهو كتاب من أربع مجلدات يحتوي تراجم لشخصيات لها صلة بتاريخ الأندلس، وقد أسندت إليه للوصول إلى عدة حقائق.

ـ معجم البلدان لياقوت الحموي: و هو يتكون من خمسة أجزاء و قاموس للمدن بصفة عامة.

ـ كتاب بغية الملتمس للضبي وهو جزء واحد عن رجال أهل الأندلس وهو تكملة لما كتبه الحميري، ولهذا الكتاب أهمية كبيرة في توضيح الشخصيات الأندلسية وخاصة العلمية فيها.

أما المراجع التي اعتمدت عليها فأهمها:

ـ دولة الإسلام في الأندلس **لمحمد عبد الله عنان** :وهو كتاب جاء ضمن سلسلة الدراسات لدولة الإسلام في الأندلس ، اعتمد فيه صاحب الكتاب على مختلف المصادر الإسلامية ،وبعض المصادر الأخرى التي كانت آنذاك مخطوطة ، كما استند في كتابه إلى العديد من المصادر والدراسات الأجنبية خاصة الاسبانية ،والكتاب عموما ذو أهمية للمهتمين بالتاريخ الأندلسي في عصر ملوك الطوائف .

ـ حضارة العرب في الأندلس **لليفي بروفنسال** :وهو من أشهر المستشرقين الذين تخصصوا في دراسات الأندلس والعلوم الإسلامية في جزيرة أيبيريا،ويعرض هذا الكتاب حضارة العرب في الأندلس حيث يصرح فيه بالروابط التي كانت تربط تلك الحضارة بالمشرق وأثر الحضارة العربية على الحضارة الغربية .

ـ كتاب عمارة المساجد في الأندلس وهو للباحث عالم الآثار الإسلامية **باسيليو بابون مالدونادو** ،ويعد كل كتاب مستقلا لكونه خارطة وقراءة تاريخية توضح الكثير من أصول العمارة الإسلامية ومفاتحها وخطوطها العامة في المشرق والمغرب ،ويتحدث عما جرى من تغيير في العمارة بدخول المسلمين وما صارت عليه بعد استرداد المسحيين لها .

وكتاب تاريخ وحضارة الإسلام **للسيد عبد العزيز سالم**، بالإضافة إلى كتاب فجر الأندلس لحسين مؤنس،الذي يعتبر من المراجع المهمة في تاريخ الأندلس ، والإسلام في طليطلة **لعبد المجيد نعنعي**، وبجوار هذه الكتب هناك بعض المقالات المنشورة التي أفادت البحث منها:

ـ بوخاري عمر، إمارة طليطلة في عهد يحي القادر بالله.

ـمحمد عطاء الله سالم، سقوط مدينة طليطلة قاعدة الثغر الأوسط بالأندلس (478ه-/1086م).

كل هذه المصادر والمراجع والمقالات وغيرها مجموعة ومحصورة في قائمة المصادر والمراجع.

**صعوبات الدراسة**

وتلقيت في دراستي جملة من الصعوبات نخص بالذكر منها:

ـ غياب المادة العلمية المصدرية التي تناولت التاريخ السياسي لها حيث لا يرد عنه سوى ما كانت تقوم به هذه المدينة من ثورات و إعلان للعصيات بصورة مستمرة ضد الحكم المركزي بالأندلس، وكذلك غموض بعض الفترات السياسية والتداعيات الحضارية وتفرق المعلومات بين كتب التراجم وكتب التاريخ وتفرق المعلومات أيضا في بطون المصادر وندرتها.

و في الأخير يسر الله لإخراج هذا العمل بهذه الصورة مع الأمل في إخراج بحوث أخرى تكون أحسن تخريجا وضبطا بتوظيف ما اكتسبته من أفكار في هذه التجربة باعتبار هذا البحث محطة من محطات التكوين وليس منتهى البحث ولا غاية التكوين.

## المبحث الأول : طليطلة في العهد الإسلامي

**المطلب الأول:الموقع والأهمية**

**المطلب الثاني :طليطلة في الحقبة الإسلامية**

**المطلب الثالث : المكانة الحضارية**

## المبحث الأول : طليطلة في العهد الإسلامي

تعتبر طليطلة من المدن المهمة في الأندلس، التي تميزت بتاريخها الحافل وذلك لموقعها الحصين المتوسط للممالك. فعرفت بالأهمية الإقليمية والجغرافية التي جعلتها محطة أحداث سياسية وحضارية .

### المطلب الأول: الموقع والأهمية

طليطلة من أهم المدن الإسلامية والقواعد الأندلسية ،حيث كانت أمنع مدن العصور الوسطى لموقعها الاستراتيجي الذي جعل لها إنتاج حضاري ودور كبير في الأحداث السياسية بالأندلس .

### 1- التعريف بالمدينة :

تعد طليطلة من المراكز والمدن التاريخية التي ضاع صيتها في الحقبة الإسلامية ،فذكرت لأهميتها في هذه الفترة في العديد من المصنفات ، حيث قال ابن حوقل عنها :" طليطلة من أعظم مدن الأندلس وأشدها منعة" .[1]

وتلفظ طليطلة بثلاثة صيغ في المصادر التاريخية وهي: ضم الطاء المهملة وفتح اللام وسكون المثناة من تحت وكسر الطاء ثم لام وهاء [2]، واللفظ الثاني هو: ضم الطاء الأولى وفتح الطاء الثانية وهذا ما سمعه أهل المغرب واعتادوا عليه [3]. أما اللفظ الثالث فهو: ضم الطائين وفتح اللامين وسكون الياء[4] ، وهي الصيغة الأعم و الأكثر رواجا في ذكر المصادر.ومعنى كلمة طليطلة هو أنتفارح ، وهذا تأويل ما سماه قيصر بلسانه "بزليطلة" فعربتها العرب وقالت طليطلة،[5]و تقع طليطلة في الإقليم الخامس من الأقاليم التي تشكل ربع معمورة الأرض[6]، وتعد مركزا لجميع الأندلس [7].

---

[1]- ابن حوقل ، صورة الأرض ، دار الإسلام ، القاهرة ، ص102

[2]- أبو الفداء ، تقويم البلدان ، تصحيح رينود وماك كوكين ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ،باريس ،1840م ،ص186.

[3]- صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تح : علي مُحَمَّد البجاوي،ج2،ط1، دار إحياء الكتاب العربية ، 1384هـ /1954م ، ص 792.

[4]- ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، تح : عبد العزيز الجندي،ج4 ،ط1، المكتبة العلمية ،بيروت ، ص45.

[5]- البكري ، جغرافية الأندلس جزء من المسالك والممالك ، تح: عبد الرحمان علي حجي ، ط1، بيروت ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، 1387هـ/ 1967، ص78.

[6]- الحموي، المصدر السابق ،ج4،ص45.

[7]- أحمد أبو العباس المقري ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تح: يوسف الشيخ ،مُحَمَّد البقاعي،ج1، ،ط1، دار الفكر ،بيروت ، 1419،هـ/1998م، ، ص121.

وذكر البكري أنها كانت تسمى في اللاتينية تولاطو[1]، كما تتوسط طليطلة ثلاث ممالك [2]،حيث يحدها غربا بنو الأفطس ، وشرقا سرقسطة[3]، ومن الجنوب الشرقي بلنسية ، ومن الشمال مملكة قشتالة[4]ومملكة ليون [5]،أما من الناحية الجنوبية إمارة قرطبة ومملكة غرناطة [6]، وتتربع طليطلة على نحو خمس مساحة الأندلس الإسلامي.[7]

كما يذكر أيضا ابن حوقل أنها مدينة كبيرة جليلة مشهورة ذات أسوار منيعة، وهي على وادي تاجة وعليه قنطرة عظيمة [8]، أما الإدريسي فيذكر أنها كانت في أيام الروم مدينة الملك ومدارا لولاتها وهي من طليبرة شرقا عظيمة القطر ، كثيرة البشر وحصينة الذات ،لها أسوار حصينة ومنعة ،وهي أزلية من بناء العمالقة وهي على ضفة النهر الكبير المسمى تاجة وهو ينبع من سلسلة جبال الشارات ويستمر جريانه إلى أن يصب في المحيط الأطلسي عند مدينة لشبونة[9]. بالإضافة إلى نهر تاجة فإن طليطلة محيطة بجبال يذكر أن عددها سبعة جبال.[10]

أما سطحها الداخلي فيقل فيه استواء الأرض [11].ومن ناحية مستوى ارتفاعها عن البحر فهي عبارة عن هضبة صخرية يبلغ ارتفاعها أكثر من 500متر ، ويحيط بها نهر تاجة من ثلاثة جهات عدا جهة واحدة من الجهة

[1]- البكري ، المصدر السابق ،ص76.

[2]_ أنظر الملحق رقم 2،ص81

3- سرقسطة :مدينة أزلية شرق قرطبة وجنوب بلنسية هي أم الثغر الأعلى وهي من بناء القوط وتسمى البيضاء لأن بها نور مشرق وتتكون من خمسة أقاليم . أنظر مجهول ،ذكر بلدان الأندلس ،تح : لويس مولينا ،مدريد ، ج1،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ،1983،ص80.

[4]- قشتالة :تقع بين مملكة ليون في الغرب ومملكة نافار في الشرق وكانت تسمى بقشتالة لكثرة الحصون والقلاع بها. الحموي ،المصدر السابق ج2،ص12.

[5]- ليون : تقع شمالي سمورة على نهر يصب بها وهي ،من أجل المدن الجلالقة وتقع على أربعة مراحل حوالي 156كلم من بحر الظلمات غربا وتتصل بالأندلس من جهة الشمال . أبو الفداء ،المصدر السابق ، ص185.

[6]-أنظر الملحق رقم 01،ص80

[7]- حسن مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ،دار الرشاد ، القاهرة ، 2004م،ص419.

[8]-ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 111.

[9]- الإدريسي ،نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ،عالم الكتب، بيروت ، 1409هـ _1989م ،ص553

[10]-الإصطخري ، مسالك الممالك ، مطبعة بريل ،ليدن ،1927م ،ص42

[11]- شكيب أرسلان ، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ،ج1،دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة ،د ت ، ص434

الشمالية على شكل يقرب من ثلثي الدائرة.[1] و كانت طليطلة أحد كور الأندلس وولاياتها [2].

حيث كانت تمتد من جبال قرطبة حتى نهر دويرة "الدورو "وجبال الحجارة شمالا [3]. و تسمى مدينة الأملاك لأن فيما يقال ملكها اثنان وسبعون ملكا .[4]وتبعها العديد من الأقاليم والمدن ومن أهمها إقليم الأشيورة[5]،وإقليم القاسم[6] ومن المدن وادي الحجارة وقلعة رياح [7]. و اقليش .[8]

**2- أهميتها :**

لقد شكل توسط طليطلة للعديد من المدن ،عاملا رئيسيا للتأثيرات السياسية والحضارية ،مما عاد عليها بالمنافع والمحاسن وذلك من خلال اكتسابها عوامل عدة منها :

**أ- المناخ الملائم** : يتصف مناخ طليطلة بالحر و الجفاف صيفا والبرودة والأمطار شتاءا وهو مناخ البحر الأبيض المتوسط ، وتختلف في هبوب أرياحها ومواقع أمصارها وجريان أنهارها [9].أما الأمطار فهي تهطل في فصل الشتاء ، ويتكون الصقيع على قمم جبالها[10].

**ب- الثروة النباتية** : لطليطلة بساتين محدقة ،وأنهار مخترقة ،ورياض وجنان وفواكه وحسان مختلفة الإطعام والألوان ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة .[11]

---

[1]- ابن حيان ،المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تح: عبد الرحمان علي حجي ،ج5 ، نشر وتوزيع دار الثقافة ،المكتبة الأندلسية ، لبنان ،ص278

[2]- المقري ، المصدر السابق ،ص180.

[3]- محمد عبد الله العنان ،دولة الإسلام في الأندلس ، ط3، مكتبة الخالجي ،القاهرة ،1988،ص132.

[4]- المقري ،المصدر السابق ،ص186.

[5]- اقليم الأشيورة ، ناحية بالأندلس من أعمال ،وهي من أعمال أستجة ،ياقوت الحموي ،المصدر السابق ، ج1،ص231.

[6]- اقليم قاسم من أعمال طليطلة ونواحي عدة وهو حصن . نفس المصدر ،ج4،ص335.

[7]- قلعة رياح : بين قرطبة وطليطلة ، وهي محدثة في أيام بني أمية جنوب طليطلة .الحميري ،صفة جزيرة الأندلس ،من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ،تح :ليفي بروفينسال ، ط2، دار الجبل ،لبنان ، 1988م،ص163.

[8]- اقليش : مدينة شرق طليطلة لها حصن في ثغر الأندلس وهي قاعدة كور شنتبرية و هي محدثة بناها الفتح بن موسى بن ذي النون . الحموي ،المصدر السابق ،ص28.

[9]- المقري، المصدر السابق ،ج1،ص121.

[10]- حسين عبد العزيز أحمد ،جغرافية أوروبا ،دار المريخ للنشر ،الرياض،1982م،ص55.

[11]-الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 552.

ورساتيق مريعة ،وضياع وقلاع منيعة وبالمجمل فمحاسنها كثيرة ،[1]بالإضافة إلى الدواليب الدائرة والجنات اليانعة والفواكه العديمة المثل، لا يحيط بها تكيف ولا تحصيللها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة وقلاع منيعة [2].

وتمتاز طليطلة بهوائها اللطيف وتربتها الخصبة وجودة زراعتها .[3] وتتميز مطاميرها بالجودة في التخزين ،حيث قيل أن الغلال تبقى في مطاميرها سبعين سنة لا تتغير .[4]

وهي مشهورة بالغلاة و التجارة والكروم [5].ومن خواص طليطلة أن حنطتها لا تتغير ولا تسوس على طول السنين يتوارثها الخلف عن السلف ،وهذا ما يشير إلى خبرة أهل طليطلة في حفظ غلالهم ،وذكر ابن غالب في ذلك أنهم كانوا يضعون القمح في بطون الهراء ثم يوجد سليما لم تصله الآفات .[6]وزعفران طليطلة هو المطلوب في البلاد ويتجهز منه الرفقاء إلى الأفاق ، وكذلك الصبغ السماوي الذي تميزت به فكان شهرتها ،وكانت الأحوال الاقتصادية بطليطلة متصفة بالرخاء قبل الحكم الإسلامي ودليل ذلك ما وجده المسلمون بها حين فتحها من أشياء نفيسة[7]، وأصبح نبات طليطلة ذو نوعية ممتازة وذلك لتوفرها على التربة الخصبة والماء الوفير والمناخ الملائم . [8] فكان سكان طليطلة يعتمدون على نهر تاجة في زراعتهم فأقاموا لمزارعهم منه قنوات ودواليب ترفع الماء ،فكان يجري على ظهر المدينة إلى أن يدخلها .[9]ومن حبوب طليطلة التي تميزت بها ما يلي :

**الإجطالة:** وهو نوع من الحماض وله سنابل صغيرة حمراء، في طعمه مزازة مستلذة ولا ينمو منفردا .

**والشبث** : يتميز بشكله الذي يشبه العدس ،ولونه بين الخضرة والصفرة وهو من البقل .[10]

---

[1]- ابن حوقل ،المصدر السابق ،ص114.

2- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص552.

[3]- ابن غالب ، فرحة الأنفس في أخبار أهل الأندلس ،نشر : لطفي عبد البديع ،مج 1،ج2، مجلة معهد المخفوظات العربية ، القاهرة ، 1955م ص288.

[4]- البكري ، المصدر السابق ، ص88.

[5]- ابن حوقل ،المصدر السابق ،ص122 .

[6]- ابن غالب، المصدر السابق، ص288.

[7]- المقري ، المصدر السابق ،ج1،ص 142- 152.

[8]- القزويني بن مُحَمَّد بن محمود ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1400هـ_ 1980، ص152.

[9]-الإدريسي ، المصدر السابق ،ج1، ص 551 .

[10]- أبي الخير الاشبيلي ، عمدة الطيب في معرفة النبات ، تح : مُحَمَّد العرابي الخطابي،ج1 ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ،سلسلة التراث ،د ط، د ت،ص198.

**و النسل الجبلي:** ينمو في الجبال الرطبة له فوائد علاجية، فهو ينفع لآلام المفاصل وتقوية المعدة وغيرها من الأمراض، وله نوع آخر يتمايز فيه برائحته العطرية.[1] و من الثمار التي وجدت في المدينة أيضا:

**الجلنار** : الذي تميز بنوعيته وكميته فأصبح حجم الجلنار .[2] يقارب ثمرة الرمان ويصل حجمها

**الجوز الماثل** : وهو نبات يزرع في البساتين يتميز بمنظره الجميل في الثمار وأشكال أوراقه المنفردة .[3]

أما عنبها من أنواع الأسود العسلي المحمر الذي يعمر طليطلة ،وعنابها الذي يسمونه بالشوطي ينبت في الغياض ،وكذلك التين وهو في غاية الجودة والحسان خاصة التين الأبيض .[4]ونميز أيضا نباتاتها العطرية وأعشابها التي تستخدم في التداوي منها :

**البابونج الطليطلي** : والذي يسمى بالأقحوان وهو طيب الرائحة ذو أزهار بيضاء في وسطه لمعة صفراء ،وهو من نوع البقل ،وكذلك حبق الراعي : الذي يشبه ورقه أوراق الصعتر غير أنها أعرض وهو من نبات فصل الخريف له رائحة عطرية ،[5]وبطليطلة العديد من الثمار والنباتات لا يمكن حصرها لتباينها فمن الثمار التفاح والجوز الماثل والسنبل الجبلي والعنب والعناب ، أما النبات فتمثل في حبق الراعي والشيح والشبت والصفصاف و الكرويا .[6]

**ج–الثروة الحيوانية والمعدنية** :لطليطلة ثروة معتبرة ،وعلى بعد منها من جهة الشمال الجبل العظيم المتصل المعروف بالشارات وهو يأخذ من ظهر مدينة سالم إلى أن يأتي قرب مدينة قلمرية ،في آخر المغرب ، وفيهذا الجبل من الغنم والبقر الشيء الكبير الذي يتجهز به الجلابون إلى سائر البلاد ، ولا يوجد شيء من أغنامه وأبقاره هزيلا بل هي في نهاية السمن ،ويضرب بها في ذلك المثل في جميع أقطار الأندلس .[7]

---

[1]– الاشبيلي ،المصدر السابق ، ج2، ص 792.

[2]– الجلنار :هو ذكر الرومان وشجره كشجره . أبو القاسم بن محمد الغساني ، حديقة الأزهار في العشب والعقار ،تح: محمد العربي الخطابي ،ط1،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،دت،ص81.

[3]– أبو الفداء ،المصدر السابق ، ص188.

[4]– ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب،ج2،دط،دت،ص9.

[5]– أبي الخير الاشبيلي ، المصدر السابق ،ص 205.

[6]– الكرويا : من التوابل وهو من جنس الهدبان ، الغساني ، المصدر السابق ،ص141.

[7]– الإدريسي ،المصدر السابق ، ص 553.

وعلى مقربة من طليطلة قرية تسمى بمغام وجبالها وترابها الطين المأكول ، الذي ليس على قرارة الأرض مثله ،يتجهز به منها إلى أرض مصر وجميع بلاد الشام والعراق ،وهو نهاية في لذة الأكل،وفي تنظيف غسل الشعر و لطليطلة في جبالها معادن الحديد والنحاس ولها المنابر في سفح الجبل مجريط[1].

وقيل أن الخيل تلعب فيه فرسانها برمحها لوسعه[2].وهذا ما يدل على اهتمام أهل طليطلة بالنشاط الرعوي لوفرة المراعي الواسعة .وكانت الأندلس غنية بالمعادن فتواجدت بها المناجم والمعامل، فلطليطلة مناجم في جبل الشارات ،حيث بها معامل الحديد والصلب ،[3]ويستخرج من جبالها أيضا مادة الطفل أو ما يسمى بالطين اليابس ويعتبر من الأنواع ذات الجودة العالية في الأندلس وخارجها ، حيث ذكر أن طفل طليطلة كزعفرانها يجهز منها إلى المدن والبلدان .[4]وبوفرة هذه الموارد توفرت الأيدي العاملة ورؤوس الأموال ، ووجود المواد الخام فبرزت الصناعة واختلفت واختلفت جوانبها ومجالاتها ، فهناك صناعات معتمدة على النباتات الموجودة بالمدينة ،كصناعة شباك صيد حيوان القنيلة[5]

بنبات طليطلة الذي كان ينقع في الماء تم يدق ويغزل بعد ذلك .[6]ولوفرة النباتات والأشجار بها أصبحت مركزا لصناعة الورق في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري .[7]

بالإضافة إلى الصوف ودباغة الجلود ،فكان الحرير ينسج ويحاك ، ولحرفة الدباغة رائحة كريهة مما أقيم لها مكان خاص خارج المدينة يخرج إليه عن طريق باب يعرف باسم الدباغين ، ولجودة جلودها فقد كانت مطلبا لمن يريدها.[8]ومن أبرز الصناعات في تلك الفترة هي صناعة التحف العاجية التي كانت في القرن الخامس الهجري بعد حدوث الفتنة في قرطبة مما جعل طليطلة قبلة للنقاش والصناع لاهتمام حكامها بالصناعات ،وكان أول مصنع بها

---

[1]-الإدريسي ،المصدر السابق ،ص 554.

[2]- المقري، المصدر السابق، ص 187.

[3]- الحميري ، المصدر السابق ،ص133_132.

[4]- المقري ،المصدر السابق ، ج1، ص182.

[5]- حيوان القنيلة : هو حيوان يشبه الأرنب إلا أنه أطيب منه في الطعم ،وأحسن وبرا وكثير ما يلبس فراؤه في الأندلس . كمال السيد أبو مصطفى اريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين ، د ط ،مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، د ت،ص128.

[6]- نفس المرجع ، ص128

[7]- سعد بن عبد الله البشري ، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس ،ط1،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات العلمية ،الرياض،1414هـ،1993 ،ص557-558

[8]- الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والمغرب ، أخرجه جماعة من الفقهاء ،إشراف محمد حجي ،ج6،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية ،ص503

تحت إشراف رجل يدعى مُحَمَّد بن زيان الذي سير إنتاجه الذي يخصص لملوك طليطلة خاصة إسماعيل وابنه المأمون. [1]

ومن هذا يتجلى لنا أن طليطلة كانت تملك ثروة حيوانية ومعدنية معتبرة ،وهذا لتوفرها المناخ الملائم والتربة الخصبة كما عمل أهلها على استغلال هذه الثروات لتلبية حاجاتهم اليومية من أكل ولباس ،وازدهر بذلك النشاط التجاري في المدينة وخارجها خاصة بعد الطلب على منتجاتها التي كانت تباع بأبهظ الأثمان لجودتها وعدم المثل لها في الأسواق الأخرى .

**3- نشأتها :**

تعد مدينة طليطلة من المدن القديمة في اسبانيا ،فكانت موجودة قبل الغزو الروماني لشبه الجزيرة الأيبيرية ،حيث كانت تتبوأ المكانة الأولى في اسبانيا القوطية سياسيا ودينيا ،فضلا عن كونها حاضرة القوط السياسية والكرسي الأسقفي في أيبيريا .

فتأسيس طليطلة ونشأتها غير معروف فتعددت الروايات منها أنها وجدت في عهد الفينيقيين ، وروايات أخرى تروي أن الذي بناها هو ديوسقيوس[2] .وأخرى تشير إلى بنائها من قبل اليهود في القرن السادس قبل الميلاد حيث أقاموا مستودعا لمعدن الذهب في اسبانيا [3].ويذكر في روايات أخرى أنى اكتبيان قيصر هو الذي عمل على بناء طليطلة[4].

وكل هذه الروايات لا يوجد ما يفندها إلا أن المؤكد هو وجودها قبل القرن الثاني قبل الميلاد وذلك لوجود إشارة بأن الرومان دخلوا إليها في 192ق م ، استمر حكمهم لها أكثر من ستة قرون حيث سقطت على يد القوط في عام 467م وجعلوها عاصمة لهم .[5] وآخر ملوكها لذريق الذي هزمه المسلمون ودخلوا عاصمتهم في عام 92هـ /711م .[6]حيث عبرت القوات الإسلامية بقيادة طارق بن زياد.[1]

[1]–السيد عبد العزيز سالم ،تحف العاج الأندلسية في العصر الإسلامي ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ، ص18-32

[2]– ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،مج 4،مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، 1399هـ /1979م ،ص140

[3]– بطرس البستاني، دائرة المعارف ، مج 11، لبنان ،دار المعارف ،ص335

[4]– ابن عذارى المراكشي ،كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،تح : ليفي بروفينسال وج-كولان،ج2 ،لبنان ،دار الثقافة ،ص14

[5]– ابن حكيم عبد الرحمان ، فتوح إفريقيا والأندلس ، تح :عبد الله أنيس الطباع ،بيروت ،1964م، ص20

[6]– ابن عذارى ،المصدر السابق ، ص2

## 4_ الفتح الإسلامي لطليطلة

بعد إتمام فتح بلاد المغرب وصول موسى بن النصير والي افريقية إلى سواحل المحيط الأطلسي ،دون فتح مدينة سبة .[2]لحصانتها وتبعيتها للحكم القوطي وأرسل مولاه طارق بن زياد ، إلى مدينة طنجة [3]المجاورة لها للضغط عليها واستغلال الفرصة لفتحها . ومقابل ذلك الهزائم التي مني بها القوط على اثر الفوضى الداخلية وانشغال لذريق بذلك أرسل موسى بن النصير السرايا الاستطلاعية ،وبعد موافقة الخليفة على الفتح بعث طارق بن زياد لفتح الأندلس وذلك بعد سنة من ولاية لذريق[4]وبعلم القوط نزول الجيش الإسلامي أرسلوا جنودا من قرطبة فمني القوط بالهزيمة ،وبعد إدراك لذريق لما حصل توجه إلى طليطلة وجهز جيشا لملاقاة طارق بن زياد ، لتتجمع قواتهم بالقرب من وادي لكة.وذلك سنة 92هـ /711م ، وفرق النهر بين الجيشين مدة أيام ثلاثة شغلت بالمعارك البسيطة ،وفي اليوم التالي التحم الجيشان ونشبت بينهما معركة عامة ، حيث كانت الهزيمة تعنى صعوبة المواجهة مرة أخرى ، وكان الحال هذه سوى أن يسرع طارق بن زياد خطاه نحو عاصمة القوط وهو ما تم له [5].

وأمام هذا الأمر عمل طارق بن زياد على توزيع جيوشه من استجة[6]إلى المناطق المجاورة، فبعث مغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك إلى قرطبة ومعه سبعمائة فارس [7] والباقي إلى مدن أخرى ، وسار طارق لفتح طليطلة في نفس المسار مع مغيث الرومي المتوجه لقرطبة [8]، حيث عبر الوادي الكبير سالكا طريق هنيبعل،[9]الذي يمر بجيان[10].

---

[1]– هو طارق بين زياد بن عبد الله ينتسب إلى قبيلة نفزة البربرية ،كان مولى موسى بن النصير وقاد عدة حملات ،فعين حاكما على طنجة . ابن عذارى المصدر السابق ،ج2 ،ص43

[2]– سبته : مدينة مشهورة من قواعد بلاد المغرب وهي تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق . ياقوت الحموي ،ج4، ص48

[3]– طنجة : بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وبين طنجة وسبته مسيرة يوم واحد .نفس المصدر ،ج5،ص49

[4]–ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص5

[5]– محمد عبد العنان ،المرجع السابق ،ج1،ص44

[6]– استجة : مدينة بين الشمال الغربي من قرطبة ،بينهما مرحلة كاملة ،وهي جنوب إيطاليا . الحميري ،المصدر السابق ،ص14

[7]-لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية ،تص :محي الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ،القاهرة ،1347هـ ،ص16

[8]– محمد الوليد الطرطوشي ، سراج الملوك ،تح : جعفر البياتي ،ط1، رياض الريس للكتب والنشر ،1990م،ص507.

[9]– هنيبعل : هو ابن هميلغاريا قائد قرطاجي فينيقي الأصل من أعظم رجال الحرب (247-183ق م). ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس ،تح:عبد الله أنيس الضباع ،ط1،مؤسسة المعارف والطباعة ، بيروت ،1415هـ_1994م ،ص21.

[10]– جيان : مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة ستون ميلا ، الحموي ،صفة جزيرة الأندلس ،ص70.

ويتضح من هذا الطريق أنه المختصر لتوفير الوقت ،وفي هذه الأثناء زحف القوطيون إلى المدن الأخرى خوفا من الجيوش الإسلامية وحال وصول طارق لطليطلة وجدها شبه حالية بها بعض اليهود والنصارى.[1]

ولما فتح طارق طليطلة وجد بها بيت الملوك ففتحه ، فوجد فيه زبور داود في ورقات الذهب مكتوبا بماء ياقوت محلول من عجيب العمل الذي لم يكد ير مثله ،ومائدة سليمان ووجد فيها أربعة وعشرون تاجا منظمة بعدد ملوك القوطيين بالأندلس حيث إذا توفي أحدهم جعل تاجه بذلك البيت، وفعل الملك بعده لنفسه غيره ، ووجد فيه قاعدة كبيرة مملوءة بإكسير الكيمياء فحمل ذلك كله إلى الوالد بن عبد الملك في دمشق [2].

وبعد أن فتحت صارت لبني أمية ،حيث كانتقليلة البنيان ، وصارت بعد ذلك دار مملكة الأندلس وقرطبة [3].وبهذا دخلت مدينة طليطلة أقوى معقل قوطي [4]إلى دائرة المدن الإسلامية المفتوحة ،فكانت بذلك من أهم المدن لموقعها المتوسط في كورة الأندلس .

**المطلب الثاني : طليطلة في الحقبة الإسلامية**

بعد استقرار حكم طليطلة للمسلمين أصبحت القاعدة الإسلامية للأندلس ،حيث اتخذها موسى بن النصير مركزا للحكم فمنها أرسلت بعثته للعاصمة الأموية تنقل خبر فتح طليطلة .[5]وبقي موسى في طليطلة مقيما ،وأخذ ينظم أمورها فعمل على صك أول عملة إسلامية في الأندلس وانطلقت منها الدعوة الإسلامية بين القوط وأهل الأندلس .[6]و لم يكن دورها مركزا إداريا للأندلس فقط بل تعدى الإشراف المالي والتنظيم الإداري إلى اتخاذها اتخاذها قاعدة عسكرية.وفيها كانت استراحة الجيوش وتنظيمها كالتخطيط للفتوحات القادمة ،ودليل ذلك خروج موسى بن النصير منها متجها إلى أرض جليقة ،التي خضعت له صلحا ثم فتح بلاد البشكس وبلاد الإفرنج

[1]- ابن القوطية ، المصدر السابق ،ص22.

[2]- ابن عذارى ، المصدر السابق ،ج2،ص12.

[3]- قرطبة : مدينة عظيمة وسط بلاد الأندلس كانت سرير ملك بني أمية ، الحموي،المصدر السابق ،ص485 ،المسعودي ،المصدر السابق ج2،ص12.

[4]- المقري ،المصدر السابق ،ج1،ص248.

[5]- ابن الشباط ، صلة السمط وسمة الرمط ،تح: أحمد مختار العبادي ، وصف الأندلس لابن الشباط ،مج14، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ،اسبانيا ، 1968ص23.

[6]- عبد الرحمان علي حجي ،التاريخ الأندلسي ،ط5 ،دار القلم ،دمشق ،1418هـ- 1997، ص85.

متجها إلى سرقسطة وفتحها،[1] وعمل موسى بن النصير على نقل العاصمة قبل تلبية نداء الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بالعودة لبعد موقعها عن عاصمة الدولة الإسلامية لبلاد المغرب ،غافلا عن أهمية موقعها بالنسبة للأندلس باتخاذ اشبيلية العاصمة الجديدة في عام 95هـ ،[2] واستمرت اشبيلية عاصمة المسلمين في الأندلس إلى أن تحولت إلى قرطبة باتخاذها مقرا لولاية الأندلس سنة 99هـ .[3]

وبذلك احتلت قرطبة مكانة طليطلة بعد أن كانت مقرا للعرش الملكي القوطي وأصبحت من توابع قرطبة التي كانت في عهد حكم الولاة الذين حكموا من (92هـ – 138م) تدار من قبل الوالي الذي يعين من طرف والي افريقية[4] والمغرب في معظم الأوقات .[5]

وبهذا يمكن القول أن طليطلة كان لها دورا بارزا في الجوانب العسكرية ،وكانت خلال حكم ولاة الأندلس (92هـ -138هـ/ 711م-755م)عاصمة أولى وقاعدة مستمرة ،فتحولت من مدينة في أواسط الأراضي الإسلامية إلى ثغر ذو أهمية بسبب ضياع الأراضي المفتوحة في شمال الأندلس ،مما أفقدها مكانتها السياسية والحضارية التي تميزت بها في فترة القوط .

## 1– طليطلة في عصر الإمارة:

بدأ عصر الإمارة الأموية في عام (138هـ-755م) وذلك عندما حكم الأمير عبد الرحمان الداخل ،حيث بعد سقوط الدولة الأموية في المشرق عام 132هـ وحلول الدولة العباسية مكانها وفرار عبد الرحمان بن معاوية الأموي الذي نجا من العباسيين نحو المغرب بتأسيس إمارة له في الأندلس مستغلا بذلك الظروف التي كانت في العقد الثاني والثالث من القرن الثاني للهجرة .[6] واستطاع بذلك دخول الأندلس عام 138هـ وتمكن من من السيطرة على مقاليد الحكم في قرطبة والقيام بإنشاء إمارة لتصبح بذلك الأندلس مستقلة عن المشرق

[1]– الدينوري ، الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء )، تح: طه محمد الزيني ،ج2،مؤسسة الحلبي وشركاؤه ، للنشر والتوزيع ، القاهرة 1478هـ_1968م ،ص64-65.

[2]– ابن القوطية ،المصدر السابق ، ص10-11.

[3]– ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص25.

[4]– افريقية : اسم كانت تعرف به المنطقة الواسعة الممتدة قبالة جزيرة صقلية وينتهي أخرها قبالة جزيرة الأندلس وحدها طرابلس الغرب إلى بجاية وقيل إلى ميلة ،الحموي ،المصدر السابق ، ج1،ص228.

[5]– ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 25-33.

[6]- ابن عبد الحكيم ، المصدر السابق ، ص100.

الإسلامي وأميرها صاحب القرار .[1] فأثناء دخول عبد الرحمان الداخل للأندلس كان حاكمها يوسف الفهري قد عاد إلى طليطلة قادما من سرقسطة ليرى أمر عبد الرحمان مع صميل بن حاتم خاصة مع انتشار دعوته في جنوب الأندلس والمشاكل التي حلت بجيشه ،فخلصا إلى محاربة عبد الرحمان الداخل ، فانطلق من طليطلة لمقابلته في معركة أسفرت عن هزيمة يوسف الفهري و الصوميل ورجوعهم إلى طليطلة .[2]

لم ينه يوسف الفهري صراعه مع الداخل فأعد الجيوش لمقابلته مرة أخرى ،فجمع الجيوش من أهل طليطلة وأنصاره والدعم الذي وصله من ابنه عبد الرحمان ومساعده هشام بن عروة الفهري له أيضا للقاء عبد الرحمان الداخل وأتم له ذلك لينتهي الأمر بإقامة الصلح بينهم على أن يقيم يوسف في قرطبة ،[3] وأرسل يوسف لصميل طلب مساعدته الخروج عن الداخل مرة أخرى ،لكنه رفض فوجد التأيد من أهل ماردة ولقنت .[4]

وخرج بذلك من قرطبة في عام (141هـ -758م) متجها إلى ماردة فقام عبد الرحمان بسجن صميل وابن يوسف الفهري وإرسال جيش بقيادة عبد الملك بن عمر بن مروان صاحب اشبيلية لمواجهة يوسف الفهري ،لكن في أحدى القرى التابعة لطليطلة حين كان يوسف متجها إلى طليطلة ليحتمي بها ،رآه عبد الله بن عمرو الأنصاري فقتله وأرسل رأسه إلى قرطبة ،[5]وبعد وصول رأس يوسف الفهري أمر عبد الرحمان الداخل بقتل عبد الرحمان بن يوسف ونصب رأس أبيه على جسر قرطبة والإبقاء على أبي الأسود ابن يوسف الفهري .[6]

وتوالت ثورات أهل طليطلة على عبد الرحمان ولم يستقروا على حاكم ،ومن بين هذه الثورات ثورة هشام بن عروة الفهري سنة (144هـ – 761م) مما أسفر عنه محاصرة الداخل لطليطلة وانته ذلك بتسليم هشام بن عروة للداخل ،لكن سرعان ما نقض هشام بن معاوية الصلح ،فغضب عبد الرحمان لذلك وحاصر طليطلة ونصب

[1]-ابن عذارى ، المصدر السابق ،ج2 ،ص 48-52.

[2]– مؤلف مجهول ،أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة فيما بينهم ،تح: إبراهيم الأبياري ،ط1، دار الكتاب المصري ، القاهرة ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، 1401هـ_1981م ،ص84.

[3]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج4 ، ص121.

[4]- لقنت : من بلاد الأندلس بينها وبين دانية على الساحل سبعون ميلا ، الحميري ، المصدر السابق ، ص170.

[5]– المقري ، المصدر السابق ،ج4،ص34

[6]– ابن عذارى ، المصدر السابق ،ج2،ص49

المجانيق عليها ،لكن حصانة موقع طليطلة حالت دون ذلك مما دفع الداخل قطع رأس أفلح بن هشام الذي كان رهينة عنده ورميه إلى داخل طليطلة .[1]

ولم تستقر طليطلة وزادت ثوراتها ضد عبد الرحمان الداخل ،وذلك باختلاف الشخصيات التي عملت على إيقاظ الثورة داخلها وتأيد أهل طليطلة لها . وآخر الثورات في عهد الإمارة هو عودة طليطلة لحكم بني قسيي سنة (290هـ-903م) .واستمرار حكم المطرف بن عبد الحكم بها إلى أن خرج عليه مُحَّد بن إسماعيل بن موسى إلا أنه قتل من قبل أهل طليطلة ،فتولى لب بن طرشية طليطلة وأتخذ في حكمه لها أسلوب الابتعاد عن الاضطرابات السياسية والعسكرية في تلك الفترة ،واستمر على سياسته حتى اعتلاء عبد الرحمان الناصر الحكم على الأندلس . غير أن فترة الإمارة بالنسبة لطليطلة كانت فترة ثورات خاصة في عهد الأمير بن المنذر وعبد الله.[2]

وبهذا فان طليطلة شهدت فترة اضطرابات وعدم استقرار الأوضاع بها في عهد الإمارة ،وذلك لثورات أهلها على ولاتها وعدم الرضوخ لحكامها من بداية عصر الإمارة إلى غاية نهايته وإعلان عبد الرحمان الناصر خلافته سنة 316هـ /928م .[3]

**2- عصر الخلافة :**

بدأ عصر الخلافة الأموية في الأندلس بإعلان عبد الرحمان الناصر نفسه خليفة عام (316هـ-928م)،ورغم ذلك بقيت طليطلة في تمردها وخروجها عن الطاعة بعد أداء الجباية ،فكان لزاما على الناصر إخضاعها لحكمه _ خاصة بعد إخضاع جميع الثوار في الأقاليم الأخرى-،فعمل على إرسال وفد لرد أهل طليطلة إلى طاعته دون قتال سنة ( 318هـ – 930 م) وتكون هذا الوفد من الفقهاء والصلاح وهذا لمعرفة مدى صعوبة أهل طليطلة ، وبالرغم من وصول الوفد وإبلاغ أهل طليطلة برسالة الخليفة إلا أنهم رفضوا الخضوع والولاء له .[4]

---

[1]- النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تح: أحمد كمال زكي ، مراجعة مُحَّد مصطفى زيادة ، ج23، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1980 ص340

[2]-ابن حيان ، المصدر السابق ، ج5 ، ص277.

[3]- أنظر الملحق 03،ص82

[4]- ابن حيان ،المصدر السابق ، ص281

عند علم الخليفة برأيهم عدّ العدة لمواجهتهم ،وعلم أهل طليطلة بذلك، فتوسطوا بالحاجب موسى بن مُحَمَّد بن حيدر .[1]غير أن هذا الأخير لم يسايرهم في طلبهم وأكد عليهم بالعودة إلى الخليفة عبد الرحمان الناصر.

وأرسل الخليفة عام (318هـ-930م) الوزير سعيد بن المنذر على رأس الجيش إليها قاصدا بذلك إشغال طليطلة بالحصار حين وصوله إليها في وقت لاحق ،فكان ذلك إلا أن وصل الناصر إليها برفقة ابنيه الحكم المستنصر بالله والمنذر بن الناصر لدين الله .[2]

وأثناء وصول الناصر لطليطلة عمل على البحث عن المواضع المناسبة لمهاجمتها ،فاستقر رأيه على محلة المقبرة على باب المدينة ، فانتقل إليه وبدأ في التشديد على أهل طليطلة ،ثم أخذ في تهديم وتخريب قراهم ومزارعهم ،واستمر في ذلك سبعة وثلاثين يوما ، فهذا العمل أثر في زعماء الحصون والقلاع فعملوا على تقديم حصونهم معلنين الطاعة والولاء للناصر،و من هؤلاء صاحب حصن قنالش و الفهميين .[3]

وفي سنة (320هـ-932م) بدأ الإعداد لغزوة ثانية لطليطلة بخروج الخليفة مع ابنه الحكم المستنصر بالله ،وقبل وصول الخليفة إلى طليطلة استنجد أهلها بردمير الثاني لفك الحصار عنهم ،فقبل بذلك لإثارة الفتنة داخل أراضي المسلمين .غير أن هذه المعونة زادت أهل طليطلة خزيا وخذلانا ،حيث صد المسلمون المحاصرون لها النصارى وهزمهم .[4]

وباشتداد الحصار على طليطلة عمل القائد الزبير بن سليم بإعلان الأمان لمن أراد أن يخرج من طليطلة من ضعفائها ،فأدى هذا النداء إلى تتابع خروج الضعفاء والأقوياء ،وبتوافدهم بقي القليل من أهلها فطلبوا الصلح بشروط ،فوافق الخليفة على شروطهم وفتحوا له مدينتهم ونتيجة لهذا قام الناصر ببناء بعض الأماكن وإقامة بعضها ،وأحكم أمره على طليطلة واستقام أهلها على طاعته .[5]

---

[1]- موسى بن مُحَمَّد بن حيدر الحاجي : :كان أيام عبد الرحمان الناصر من أهل الأدب والشعر ومن أهل رياسة وجلالة . أنظر الضبي ، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ،تح: روحية عبد الرحمان السويفي ،ط1،منشورات مُحَمَّد علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،1418_1998،ص397

[2]- ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج2 ،ص202-203

[3]- الفهميين : قرية متحضرة في طليطلة ،وملكهم الروم لما ملكوا طليطلة . الحميري ،المصدر السابق ،ص144

[4]- ابن عذارى ،المصدر السابق ، ج2، ص206- 207.

[5]-ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج4،ص140-141.

وبهذا حاول الناصر عدم فقدان طليطلة لعلمه بمدى أهميتها ضمن أقاليمه فأهتم بأمرها بشكل لافت ،حيث ربطها بالعاصمة وجعلها مركزا للفتوحات تخرج منها الجيوش لمواجهة الأعداء ،ولهذا أصبحت قائمة على تعزيز الأمن والاستقرار في الجهة الشمالية وقاعدة للجهاد ضد الممالك النصرانية ،ولمكانتها العسكرية دعم الخليفة قواعدها الأمنية ،فكلف القائد أحمد بن مُحَمَّد بن إلياس ببناء قلعة بثغر طليطلة ،فعمل على ذلك وشحنها بالرجال والأقوات وأقام الخليفة عليها قاسم بن مطرف بن موسى بن ذي النون .[1]

ولم تكن نظرة الخليفة في استقرار طليطلة على الولاة فقط بل عمل على تنصيب القضاة منهم أحمد بن خليل بن عبد الجبار بن حزب،وبهذا استطاع الحليفة أن يقر على طاعة طليطلة له .[2]

وتوالت طاعة طليطلة لخلفاء بني أمية ،فعند خلافة الحكم الثاني في (350هـ-962م) توافدت عليه الوفود معلنة البيعة ،وهذا ما جعل الحكم يظل على نفس أسلوب الخليفة عبد الناصر في ربط طليطلة بالعاصمة قرطبة ،وبهذا بقي أمر طليطلة على الاستقرار والطاعة لخلفاء بني أمية رغم المحاولات لضرب هذا الوضع بالمؤامرات والفتن التي جاءت مصاحبة لخلافة هشام المؤيد،وعودة طليطلة للحكم المركزي بقتله وقتل ابنه في (401هـ-1010م).[3]

وعلى كل فإن طليطلة في هذه المرحلة جنحت إلى السلم والهدوء النسبي وذلك لإدراك أهل طليطلة بعدم جدوى الثورات في الحفاظ على مدينتهم ،ومحاولة حمايتها من الفتن التي شاهدتها الفترة الأخيرة من عصر الخلافة إلى أن سقطت عام (422هـ-1031م).

### 3_طليطلة في عهد بني ذي النون

إن الأوضاع السيئة بالأندلس والحال التي آلت إليه قرطبة جراء الفتن ،وعدم وجود رجل يجلس على مقعد الحكم بها لما اعتلاها من حكام غاويين في أواخر عهد الخلافة ،واجتماع وزراء الدولة والشيوخ وإعلان إبطال الخلافة لعدم كفاءة وقدرة المر وانية على ذلك ، وبهذا انتهت الخلافة الأموية عام (422هـ-1031م) .

[1]- ابن حيان ، المصدر السابق ،ص417.

[2]- ابن الآبار ، الحيلة السيراء ،تح: حسين مؤنس ،ج1،ط2،دار المعارف ،القاهرة ،1985ص256.

[3]- النويري ،المصدر السابق ، ج3،ص426.

وهذا ما زاد الطين بله، بالأوضاع المزرية التي أصبح عليها حال الأندلس من انقسامات وسقوط عدد من مدنها في أيدي النصارى . إلا أن طليطلة استقرت على حالها المتميز بالهدوء في هذه الفترة ،ولم تستعن بأحد لتسيير أمورها ،إلا بعد ظهور الأمراء الأقوياء في المدن المجاورة لها ،وذلك ببداية فترة ملوك الطوائف ،فظهر دور بني ذي النون فيها وهم ينتمون إلى قبيلة هوارة البربرية[1]، وأصلهم يعود إلى جدهم زنون، الذي تغير إلى ذي النون. حيث كان حضورهم قديما في الأندلس منذ الفتح الإسلامي، تحديدا إلى أيام الأمير مُحَمَّد ابنعبد الرحمن (237-283هـ/752-776هـ).[2]

وواصل بني ذي النون الحكم وإقامة ملكهم فيها أيام اضطراب الفتنة وانهيار السلطة في قرطبة مع مطلع القرن الخامس هجري، حيث تمكن عبد الرحمان بن ذي النون من فرض سيطرته على كورة شنتبرية[3] ، ثم أعلن استقالته بها[4]و ساعده في ولاية طليطلة وإدارة شؤونها وتسيير أمورها أحد كبار المدينة عبد الرحمان بن متيوه[5]، مع القاضي أبو بكر يعيش بن مُحَمَّد الأسدي[6]، فنشب خلاف بينهما، وما لبث أن انتهى بعزل القاضي أبو بكر يعيش سنة(418هـ/1026م) ، واعتلى عبد الرحمان بن متيوة سدة الحكم حتى وفاته، وخلفه ابنه عبد الملك الذي خالف سيرة أبيه. واضطربت الأمور وعمت الفوضى في عهده، فتشاور زعماء طليطلة في أمره أجمعوا على خلعه ومراسلة عبد الرحمان بن ي النون لتولي ملك طليطلة[7].

فلم يضيع عبد الرحمان الفرصة واستجاب لزعماء طليطلة وأرسل إليهم ابنه إسماعيل الذي تولى الأمور وكان ذلك عام(427هـ/ 1036م). وبذلك انتقل حكم بني ذي النون من كورة شنتبرية إلى طليطلة واعتبر هذا

---

[1]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من شجون الكلام،تح: ليفي بروفنسال، ط1،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، 1424هـ _2004م ،ص176-177.

[2]- مُحَمَّد بن عبد الرحمان: هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الرحمان بن الحكم، بويع بالإمارة صبيحة وفاة والده، وكان أيمن الخلفاء بالأندلس، توفي في سنة (273هـ/886م).ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة ،تح: عبد السلام الهراس ،ج2، دار الفكر ،بيروت ،1415هـ_1995م، ص119.

[3]- شنتبرية: مدينة متصلة بجوار سالم بالأندلس، وهي مدينة كبيرة وهي شمال شرق طليطلة ، ياقوت الحموي: معجم البلدان ،ج3، ص616.

[4]- ابن بسام أبو الحسن، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ، تح:إحسان عباس،ج1،ط1،ق 3،دار الثقافة، بيروت ، ، 1979م،ص89.

[5]- عبد الرحمان بن ميتوة : هو أحد أعضاء رؤساء مجلس قيادة مدينة طليطلة في فترة الفتنة، ثم انفرد هو وابنه عبد الملك في حكم طليطلة ونواحيها خلال (418هـ-428هـ/ 1032م-1036م)، ابن عذارى، المصدر السابق ، ج3،ص275.

[6]-أبو بكر يعيش بن مُحَمَّد الأسدي: من أهل طليطلة حافظ للفقه ذاكرا للمسائل، توفي في قلعة أيوب سنة (418هـ)، ابن الآبار ، المصدر السابق،ج2،ص 38.

[7]- ابن الخطيب ، المصدر السابق، ص177.

التاريخ هو نشأة وتكوين مملكة طليطلة تحت حكم بني ذي النون، وكان إسماعيل بن عبد الرحمان بن ذي النون المؤسس الحقيقي لهذه المملكة واستمر حكم بني ذي النون منذ (427-478هـ/1036-1085م) [1].

وبهذا فإن طليطلة في الحقبة الإسلامية عاشت فترات متباينة بين الاضطرابات في مرحلتها الأولى والجنوح للسلم في عهد الخلافة واضطراب أحوالها بعد ذلك ومن هذه المرحلة بدأت الخلافة الإسلامية بالانهيار والتراجع فيها.

**المطلب الثالث: المكانة الحضارية**

حظيت طليطلة بثراء حضاري متنوع ،وذلك لتعدد الديانات فيها (المسيحية، اليهودية، الإسلامية) والعناصر البشرية مما جعلها قبلة للعديد من المناطق الإسلامية والنصرانية ،حتى صارت مركزا علميا هاما ،وذخرت بالعديد من العلماء الذين كانت لهم إسهامات في علوم شتى وهذا ما عمل على ثقل مكانتها في العالم الإسلامي والمسيحي.

**1- الأحوال الاقتصادية و الاجتماعية:**

تعد الأحوال الاقتصادية والاجتماعية من الدلالات الحضارية لأي دولة -وكما ذكرنا سابقا – فإن لطليطلة مكانة اقتصادية هامة أسفرت عن وجودها العوامل المذكورة سلفا ،فبرزت بذلك جوانب عدة في مجالاتها فالزراعة ساعدت على ازدهارها التربة الخصبة والماء الوفير والمناخ الملائم ، و وصفت ثمار وحبوب طليطلة بالجودة وعديم المثل في الكم والنوع وتعددت محاصيلها فشملت الخضر والفواكه . أما ماشيتها فكانت لا يخالطها هزل ولا ضعف .[2]

فانتعشت بها التجارة خاصة بعد انتهاء كل حصار ،حيث تكون منتجاتها منقطعة لفترات عن المدن والبلدان مما يؤدي إلى ارتفاع ثمنها عند دخولها الأسواق وبذلك تنشط الحركة التجارية داخل طليطلة ،كما كان التجار اليهود يثرون هذه المدينة من حين لآخر بالسلع ،وكان بعض علماء طليطلة يشاركون في التجارة وعمارة المال،[3]كما شكلت طليطلة أحد أهم الطرق التجارية ومراكزها ،حيث ارتبطت طرقها التجارية بمناطق مختلفة ،منها

[1]- ابن خلدون،المصدر السابق ، ج4، ص207.

[2]- زكريا القزويني ، أثار البلاد وأخبار العباد ،دار بيروت للطباعة والنشر ،بيروت ،1400هـ_1980م ،ص545.

[3]- شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات الأعلام ،تح: عمر عبد السلام تدميري ، ط1،دار الكتب العربي ، بيروت ،لبنان ، ص349.

،منها طريق يبدأ من قرطاجة ،ثم مرسية ثم طليطلة ،وطريق من قرطبة فطليطلة وصولا إلى سرقسطة ثم لاردة[1]. وبطلب بضائع ومنتجات طليطلة من بلدان مختلفة تشكلت التجارة الخارجية وشملت البلدان التالية : مصر ،الشام والعراق والموانئ الإفريقية وحتى الأوروبية .[2]

وهذا ما يبرز أن التجارة في مدينة طليطلة لم تقتصر على البلدان الإسلامية فقط ،بل وصلت المناطق الأوروبية خاصة في فترات استقرار أوضاعها الداخلية .

أما الجوانب الاجتماعية تمثلت في تركيبة المجتمع الطليطلي الذي تميز بالتمازج بين عناصره البشرية ،فتعدت بذلك دياناته ومن أبرز هذه العناصر نورد ما يلي :

ـ **البربر** : كان دور البربر كبير في عملية الفتح لطليطلة ، واستوطنوا المناطق الشمالية المتاخمة للنصارى ، فأقام موسى بن النصير بقبائل البربر جدارا دفاعيا لحماية ثغور دار الإسلام من اعتداءات النصارى وظلوا فيها وفي أعمالها إلى أن سقطت في أيدي النصارى ، فهاجر العديد منهم على أنحاء الأندلس وبالخصوص إلى الجنوب .[3] ومن القبائل التي ذكرتها المصادر صنهاجة ،وزناتة ،ومصمودةونفازة ومكناسة و هودة [4].

إلا أن ابن حزم ذكر مكان كل قبيلة وحدد مكانها في طليطلة وأعمالها وتظهر قبيلة هوترة ومنها بنو الفرج من وادي الحجارة. وقبيلة هوارة ومنها بنو ذي النون أمراء أقليش ووبدة ومصمودة ومنهم بنو سالم الذي تنسب إليهم مدينة سالم .[5]

وبهذا تظهر لنا أن كتلة بربرية ضخمة تضم هوارة ،ومصمودة وزناتة كانت تمثل اغلب سكان طليطلة و أحوازها وهذا الذي جعل مقاليد الحكم للبربر دون العرب،كما جعل أمراء بني أمية وخلفائهم للثغور قادة من البربر ،ومن غير الممكن أن تقوم إمارة بربرية في ناحية لا يغلب على سكانها العنصر البربري [6].

---

[1]– لاردة : مدينة مشهورة بالأندلس ،تقع قرطبة وتتصل أعمالها طركونة . الحموي ،المصدر السابق ،ج5،ص7.

[2]– آدم ميتر ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ،تر: محمد عبد الهادي أبو زيد ،ط4، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1478هـ_1968م، ص313.

[3]– بوباية عبد القادر ،البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي )،رسالة دكتوراه ،تحت إشراف غازي جاسم الشمري ،جامعة وهران السانية ،الجزائر ، 1422-1423هـ /2001-2002م ،ص75.

[4]– الإصطخري ، المصدر السابق ،ص36.

[5]– ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ،جمهرة الأنساب العرب ، لبنان ،دار الكتب العلمية ،1418هـ/1998م ،ص499 -500

[6]–حسين مؤنس ،المرجع السابق ،ص383.

-**العرب** :وكان التواجد العربي بطليطلة يحتوي على نسبة عالية من العرب الفاتحين ،بفرعيه العدناني و القحطاني . والمنتسبون إلى عموم كنانة الذين كثر عددهم في طليطلة وأعمالها .[1]و الملاحظ كذلك أن العرب استقروا على طول خطوط الفتح ونسبة كثافتهم السكانية في المناطق الجبلية قليلة ،فكانوا يفضلون النواحي الدافئة وقليلة المطر في الجنوب والشرق والغرب ،[2]ولم يكن الوجود الإسلامي مقتصرا على طليطلة بل تمازج معه عنصر النصارى واليهود .

-**النصارى** :كان تواجد النصارى في طليطلة قبل الفتح الإسلامي لها ، ولم يتغير حالها منذ الفتح حيث واصلوا ممارسة شعائرهم الدينية ومعاملاتهم التجارية ، وتقلدوا وظائف كثيرة أهمها الترجمة حيث أصبحت طليطلة مركزا فكريا استفادت منه أوروبا [3]،حتى أصبح منهم من يتقن اللغة العربية وتأثروا باللباس العربي ،إلا أن أحد مطراني طليطلة تسمى باسم عبد الله القاسم .[4]

– **اليهود** : وكان وجودهم منذ العصر القوطي في كثير من المدن الأندلسية، وفي طليعتها طليطلة .[5]وتزايدت كثافتهم ونسبتهم في النشاط الاقتصادي لاسيما النشاط التجاري الذي برعوا فيه في مغماره.[6]

وهذا التنوع والتمازج في عناصر المجتمع الطليطلي وتركيبته لا يعني انقسامه إلى فصائل ،متباعدة بل سماحة الدين الإسلامي جعلت كل من النصارى واليهود يتعايشون مع المسلمين لدرجة اختلاط الأسماء العربية مع الأيبيرية وهذا التمازج نتج عنه عنصر جديد في المجتمع سمي بالمولدين

-**المولدون** : هم أبناء أب أيبيري مسلم وأم عربية أو بربرية ،وكان عددهم كبير حيث تزعموا العديد من الحركات الثورية بطليطلة ضد الحكومة المركزية بقرطبة .[7]

[1]- المقري ،المصدر السابق ،231.

[2]- بوباية عبد القادر ،المرجع السابق ،ص73.

[3]- ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ،ج3،ص282.

[4]- المقري ، المصدر السابق ، ج1، ص 366.

[5]-بود شيش إبراهيم القادري ،مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ،ط1،بيروت ، دار الطبعة ،1998،ص92.

[6]- أحمد علي ، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى ، "مجلة الأفاق والتراث دبي "،السنة الخامسة، العدد 17،الإمارات ،محرم 1418هـ /1997م ،ص59

[7]-الإدريسي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص551.

وبهذا الخليط المتجانس في تركيبة المجتمع الطليطلي زادت نسبة سكانها ،وارتفعت بنزوح المهاجرين إليها من أهالي الضياع والقرى المجاورة هروبا من الغارات والحروب المستمرة عليهم .[1]

إن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية بطليطلة كان لها دورها في الأحداث السياسية والحضارية للمدينة فالخليط المتجانس لتركيبة السكان نتج عنه تمازج حضاري متميز ، أما النشاط الاقتصادي بها فقد شكل جزء مهم بالنسبة للتجارة الإسلامية في تلك الفترة بصفة خاصة .

## 2- الحياة العلمية:

اهتم المسلمون بالحضارة على مر العصور ، فساهموا بذلك في بناء صرح الحضارة الإنسانية ،ومن بين الأقاليم المساهمة في ذلك الأندلس ،فكانت طليطلة من أهم المدن الرائدة في حقول العلم والمعرفة بها ،

فكان تركيزهم في بداية الإسلام على العلوم الشرعية و اللغوية ،ثم صبوا اهتمامهم بعد ذلك على العلوم الإنسانية والتطبيقية .

**أ-العلوم الشرعية** : تعد العلوم الشرعية من العلوم الأولى التي تم الاهتمام بها ،وذلك راجع لحاجة الناس في تلك الفترة إلى معرفتها بتزامن الفتح الإسلامي للمدينة لإدراك الدين وتشريعاته ،وبهذا أصبح لعلماء الشريعة بطليطلة مكانة كبيرة في الأندلس وذلك لاهتمامهم بدراسته والبحث في طياته من خلال رحلاتهم للبلدان الإسلامية .[2]

وتواجدت العلوم الشرعية في طليطلة بكامل أقسامها، ولم يكن الاهتمام بهذا العلم حكرا على الأفراد .بل كانت بطليطلة بيوت تهتم به كبيت آل الحديدي وبيت القروي ،[3]ومن أبرز علماء الشريعة و أهمهم أحمد بن قاسم قاسم بن مُحَمَّد بن يوسف التجيبي[4] وأحمد بن مُحَمَّد بن عبيدة بن ميمون الأموي الطليطلي[5].

---

[1]- ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج4، ص280.

[2]- ابن بشكوال ،المصدر السابق ،ج1، ص35.

[3]- القاضي عياض ،ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعمال مذهب مالك ،تح:أحمد بكير محمود ،ج4،مكتبة الحياة ودار مكتبة الفكر ،بيروت ،طرابلس ،د ت ، ص684.

[4]- أحمد بن قاسم بن مُحَمَّد بن يوسف التجيبي،كنيته أبو جعفر ،ويعرف بابن ارفع من كبار علماء الفقه بطليطلة وله حلقة بجامعها يعلم فيه ،عالم بالحديث وبعقد الشروط ،توفي سنة 403هـ /1013م.القاضي عياض ، المصدر السابق ،ج4،ص 719

[5]- أحمد بن مُحَمَّد بن عبيدة بن ميمون الأموي الطليطلي ، كنيته أبو جعفر حافظا للفقه وراويا للحديث ،له الكثير من الكتب ورغم كثرتها إلا أنها تعد أصح الكتب بطليطلة وكان له رحلات لطلب العلم حيث وصل لقرطبة بالأندلس ومصر والحجاز ،توفي سنة 402 هـ / 1012م وعمره 50عاما . الذهبي ، المصدر السابق ،ج18،ص151.

ويندرج ضمن العلوم الشرعية العلوم التالية :

**1-الحديث** : زخرت طليطلة بالعديد من العلماء في هذا المجال ومن أبرز علمائها إبراهيم بن مُحَّد بن شنظير الأموي [1]، وأحمد بن مغيث بن أحمد بن مغيث الصدفي [2]،

ومُحَّد بن علي بن إبراهيم الأموي .[3]

ومن أهم التصنيفات في الجانب الشرعي ،كتاب في تفسير الموطأ ،وتسمية رجال الموطأ ليحي بن مزين ومستند في الحديث لمحمد بن عبد الله بن عيشون ، وكتاب المقنع لأحمد بن مغيث الصدفي ، وكتاب في المناسك لعبد الرحمان بن عثمان الصدفي ،كما كان لجامع طليطلة ودور المعلمين ومجالسهم ساحات للتعليم فكانوا منبرا لأداء الوظائف الدينية ،والمهام كالإفتاء والخطبة وتولي بعض المهام كبناء الحصون .[4]

وبهذا لم يقتصر تواجد هؤلاء العلماء على مدينتهم ،بل استفادت منهم كثير من المدن الإسلامية سواء في إقليم الأندلس أو خارجه خاصة في مجال القضاء .

2-**الفقه:** كان الفقه من العلوم التي حظيت دراستها بقسط وافر من اهتمام أهل طليطلة على نحو لافت للنظر ،وذلك الاهتمام راجع إلى عدة عوامل منها :

- كثرة من تتلمذ على يد الإمام مالك من علمائها الأوائل ،

- الظروف السياسية والاجتماعية لطليطلة التي كانت تثير أمام أهلها الكثير من المسائل التي تستوجب الفتوى مما دفع انشغال الكثير من علمائها بالفقه والعناية به فنشأت في طليطلة ما يحق تسميته بالمدرسة الفقهية .[5] فشارك العديد من أهل طليطلة في الحركة العلمية الأندلسية ، وكان منهم عدد ممن التقى مالك بن أنس، وفي مقدمة

---

[1]- إبراهيم بن مُحَّد بن شنظير الأموي : كنيته أبو إسحاق ،كان من المهتمين بالعلم وعلم الحديث ،وله اهتمام بكتب الزهد . ابن بشكوال ،المصدر السابق ،ج1،ص93.

[2]- أحمد بن مغيث بن أحمد بن مغيث الصدفي : يكنى بابي جعفر يعد من كبار علماء الحديث ،من أشهر كتبه كتاب المقنع في عقد الشروط ،توفي سنة (409هـ/1066م). القاضي عياض ،المصدر السابق ،ج4 ،ص819.

[3]- مُحَّد بن علي بن إبراهيم الأموي:كنيته أبو عبد الله كان يناظر عليه في الفقه وله مؤلف في شرح كتاب البخاري ،توفي سنة (479هـ/1086م). القاضي عياض ،المصدر السابق ،ص820 .

[4]- ابن بشكوال ، المصدر السابق ،ص255.

[5]- أحمد أرشيد الخالدي ، المدن والآثار الإسلامية في العالم ،ط1،دار المعتز للتوزيع والنشر ، عمان،د ت ،ص228 .

هؤلاء أبو عثمان سعيد بن أبي هند الذي عاش في عصر الولاة ورحل إلى المشرق ولقي إمام دار الهجرة وسمع منه ونال تقديره،[1] وأبو هند عبد الرحمان [2] وممن التقى مالك كذلك عيسى بن دينار بن واقد الغافقي.[3]

وهكذا غرس هؤلاء الطليطيون ممن لقوا مالك بذور الحركة العلمية في المدينة وأخذت تتلك الحركة في التنامي منذ أوائل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي نتيجة عوامل عدة منها :

- الرحلات العلمية إلى المشرق وتلقي العلم من مشاهير العلماء في إفريقية ومصر والحجاز .
- وفود العلماء إلى طليطلة سواء من علماء المدن الأندلسية الأخرى مثل قرطبة وغيرها من علماء الأمصار الإسلامية والمشارق الذين قدموا إلى الأندلس ودخلوا طليطلة .[4]

و موقع ا لمدينة أدى إلى إقامتها لعلاقات علمية مع المدن الأخرى في المحيط الأندلسي .[5]

**3–علوم القرآن** :كانت علوم القرآن أيضا موازية لعلم الحديث والفقه فاختص بطليطلة الكثير من العلماء ،كان لهم دور مهم ومن أهم هؤلاء نجد : مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الرحمان الأنصاري الذي كان يدرس بمسجد حمزة بغرناطة ،وله تاريخ في اختلاف القراء السبعة [6] ،ومُحَمَّد بن عيسى بن فرج [7] ويحيى بن مزين [8].

---

[1]– ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن مُحَمَّد الأزدي ،تاريخ علماء الأندلس ،تح:روحية عبد الرحمان السويفي ،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت 1417هـ/1997م ،ص136.

[2]– أبو هند عبد الرحمان ،هو عبد الرحمان بن أبي هند الأصبحي الذي روى عنه مالك توفي بطليطلة عام (200هـ /816م ).الحميدي ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ،المكتبة الأندلسية ،1966،ص279.

[3]–عيسى بن دينار بن واقد الغافقي ،فقيه أهل الأندلس قاطبة ،سمع من مالك لكنه صاحب ابن القاسم المصري أكبر تلاميذ الإمام مالك ،وعول عليه ثم انصرف إلى الأندلس فدارت الفتي عليه ولم يتقدمه أحد في وقته وهو الذي علم أهل الأندلس المسائل وألف في فقه المالكية كتاب الهداية الذي أشاد به ابن حزم ورأى أنه أفضل مؤلف في بابه ،توفي 212هـ /827م .الضبي،المصدر السابق ،ص352.

[4]– ابن الفرضي ،المصدر السابق ،ص251.

[5]–أحمد أرشيد الخالدي ،المرجع السابق ،ص228.

[6]– ابن الآبار ،المصدر السابق ،ج1،ص63.

[7]– مُحَمَّد بن عيسى بن فرج بن أبي العباس المغامي ،كنيته أبو عبد الله ،عالك بالقراءات ووجوهها ،موصوف بالتجويد والمعرفة حبس كتبه لطلبة العلم توفي في 485هـ /1092م بمدينة اشبيلية ،وعمره 83سنه .ابن بشكوال ،كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائها ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم صححه وراجعه السيد عزة العطار الحسيني ،ج2،ط2،القاهرة ،مكتبة الخانجي ،1994م، ص528.

[8]– يحي بن مزين ،مولى رمله ابنة عثمان بن عفان رضي الله عنهما ،له مصنفات عدة منها : كتاب في تفسير الموطأ وكتاب فضائل العلم ،وكتاب فضائل القرآن . القاضي عياض ،المصدر السابق ،ج4 ،ص132.

**ب– علوم اللغة والآداب** : بما أن اللغة العربية المصدر الأساسي لكتابة التشريع الإسلامي كان لابد من تعلمها ،حيث كان الجانب اللغوي في طليطلة منذ بداية تاريخها الإسلامي ضعيفا لفترة من الزمن ،إلا أن اهتمام بعض رجال أهل بني ذي النون باللغة والشعر عمل على تطورها ،وأمثال هؤلاء الحاكم المأمون يحي بن ذي النون الذي غير من حال علوم اللغة بطليطلة ،حيث عمل على جلب العلماء لبلاطه ودعمهم بتخصيص رواتب لهم .[1]

ومن أهم وأشهر العلماء نجد جودي بن عثمان النحوي العبسي [2]،وسعيد بن عيسى بن أحمد بن الرعيني[3]،ومُحَمَّد بن إبراهيم بن موسى بن عبد السلام الأنصاري .[4]

**ج– العلوم الإنسانية :**

تنوعت مجالات العلوم الإنسانية من تاريخ وجغرافيا وتراجم وأنساب وآثار و منطق ،فعلم التاريخ تمثل في عدد من الإخباريين الذين قاموا بنقل الأخبار وحوادث السير ،[5]وعلم الجغرافيا كان علما مستقلا بذاته ،فانفرد بمصنفاته واعتمد عليه كل من علماء التراجم والسير .[6]

وقد تناول علم التراجم بطليطلة كل من حكمائها وفقهائها وقضاتها ،ثم تعمم إلى علماء العرب والعجم ،ومن بين المصنفات في هذا العلم نجد : التعريف بأخبار علماء الأمم والعرب والعجم ،وجامع أخبار الأمم ،والمكنون في ترجمة بني ذي النون ،[7]ومن أبرز علماء العلوم الإنسانية بطليطلة إبراهيم بن مُحَمَّد بن الحسن الأموي [8]وأحمد بن عبد الرحمان بن مطهر الأنصاري .[1]

---

[1]– علي بن ظافر الأزدي ،بدائع البدائة ،تح :مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ،مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ،ص309.

[2]– جود بن عثمان النحوي العبسي ، أصله من طليطلة ، كانت له رحلة علم إلى المشرق وهو أول من أدخل كتاب الكسائي للأندلس وله تصنيف في النحو يسمى منبه الحجارة توفي عام 198هـ –813م .ابن الآبار ،التكملة لكتاب الصلة ،المصدر السابق ، ج1، ص249.

[3]– سعيد بن أحمد الرعيني كنيته أبو عثمان ويعرف بالقرى وبالأصغر ،برع في النحو والأشعار ،استفاد من رحلاته داخل الأندلس كانت وفاته سنة 462 هـ/1069م . ابن بشكوال ،المصدر السابق ،ج1،ص218.

[4]–إبراهيم بن موسى بن عبد السلام الأنصاري كنيته أبو عبد الله ويعرف بابن شق الليل ،من علما النحو واللغة توفي في عام 455هـ /1063م .السيوطي ،بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،تح :مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ،ج1،ط1،مطبعة عيس الباي الحلبي وشركاؤه ،1384هـ/ 1964م،ص15.

[5]– ابن سعيد، المصدر السابق ، ج2،ص33.

[6]– ابنالآبار ، المصدر السابق ،ج2،ص10.

[7]– ابن بشكوال ،المصدر السابق ، ج2،ص487.

[8]– إبراهيم بن مُحَمَّد بن الحسن الأموي : كنيته أبو إسحاق ويعرف بابن شنظير من مؤرخي طليطلة ،وفقهاء المالكية بها ومصنفه التاريخي ،تاريخ رجال الأندلس توفي عام 402هـ/1011م . خير الدين الزركلي ، الأعلام ،ط8،دار العلم للملايين ،1989م،ص 61.

**د- العلوم العقلية** : تعد العلوم العقلية من أبرز العلوم المتواجدة في طليطلة ضمن مدن الأندلس ،ويعود ذلك للبحث وطرق المعالجة المتطورة التي اتصف بها علماء طليطلة، والعلوم التطبيقية لخصت في كتب الطب والهندسة والرياضيات منها : كتاب الأفق ، كتاب الصحيفة الكونية ،كتاب التدبير ،كتاب المدخل إلى النجوم ،ومن أبرز علمائها :علي ابن خلف [2]، وهشام بن أحمد بن هشام الكناني .[3]

وهكذا كانت الحياة الفكرية في طليطلة في عصرها الإسلامي خصبة وثرية واشتملت على اتجاهات علمية متنوعة مابين علوم دينية وأخرى عقلية وشارك في هذه الحياة علماء وأدباء كثر، فكان لها دور ريادي في العلوم التطبيقية خاصة ما تم إنتاجه فيها .

3/ **المعالم الحضارية:** كان بطليطلة العديد من المعالم الحضارية التي أعطت انطباعا لما وصلت إليه تلك المدينة من الحضارة والتقدم والازدهار ، فقد برزت في فن العمارة وانخرطت في الأسلوب المعماري الشائع في قرطبة بعد أن دخلت في فلك الخلافة الأموية ،حتى وصفت بأنه من القليل أن يرى مثلها اتقانا وشامخة بنيان [4]. ومن الآثار الدالة على ذلك :

1/**الأسوار** :كان لسور طليطلة في عصرها الإسلامي أبواب عديدة تتفرع عنها طرق إلى شتى الاتجاهات التي تربطها بنواحي الأندلس فكانت هذه الطرق كثيرة لأهمية موقعها المتوسط بمدينة الأندلس .[5]

ويقول الإدريسي :"طليطلة حصينة الذات لها أسوار حسنة ،فيها حصانة ومنعة وهي أزلية في بناء العمالقة ، وقليلا ما روي مثلها اتقانا وشماخة وهي عالية الذرى ".[6]

---

[1]- أحمد بن عبد الرحمان بن مطهر الأنصاري كنيته أبو جعفر مؤرخ سمع من العديد من العلماء ،له كتاب تاريخ فقهاء طليطلة وقضاتها ،وفي مقدمة الكتاب معلومات جغرافية مهمة توفي عام 489هـ/1095م .لسان الدين بن الخطيب ،الإحاطة في أخبار غرناطة ،تح محمد عبد الله عنان ،ج1،ط2 ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1393هـ/1983م ،ص83.

[2]- علي بن خلف : من علماء الفلك ،وهو صاحب الإسطرلاب حيث كان لهذا الإسطرلاب شهرة كبيرة في المشرق والمغرب . الذهبي ،المصدر السابق ،ص92.

[3]- هشام بن أحمد بن هشام الكناني :كنيته أبو الوليد ويعرف بالوقشي ولد في 408هـ/1018م عالم بالحساب والهندسة والفلك وهو أول من راقب حركات النجوم ودراسة خصائصها في طليطلة توفي في 489هـ/1092م .ابن بشكوال ،المصدر السابق ،ج2،ص218.

[4]- أحمد أرشيد الخالدي ، المرجع السابق ،ص219.

[5]- نفس المرجع ،ص 221.

[6]- الإدريسي ،المصدر السابق ،ج2،ص 501.

وفي العصر الإسلامي كان باب القنطرة هو الباب الرئيسي لسور طليطلة ، ويؤدي الطريق من هذا الباب إلى الرحبة المعروفة باسم سوق الدواب وقد سمي بباب القنطرة لأنه كان يفضي إلى القنطرة على وادي تاجة، وكان بناء هذا الباب على يد خلف بن مُحَمَّد العامري ،قائد طليطلة سنة 478هـ /998م [1].

ومن الأبواب المعروفة أيضا في طليطلة الباب المردوم الذي يقع بجواره المسجد المعروف باسمه ، وقد وجدت أبواب أخرى مثل باب الحديد وباب الدباغين اللذان يشرفان على نهر التاجة ، وباب شاقرة الذي كان ينفتح على حومة تنسب إليه وإن كان هناك بابان آخران يحملان نفس الاسم .[2]

2/ **الربض** : كان يقع على خارج سور طليطلة في عصرها الإسلامي أكثر من ربض ،منها ربض يقع بناحية باب شاقرة دفن في حومته ابن ميمون أحمد بن مُحَمَّد بن أبي عبيدة ،وكان من الأرباض أيضا الموضع الذي كان يسمى محلة حرنكش الذي نزل فيه الخليفة عبد الرحمان الناصر حين دخل طليطلة عام 319هـ /931م،وقد اتسع هذا الربض وامتد من محلة حرنكش إلى محلة المقبرة الواقعة خارج باب القنطرة مباشرة، خاصة بعد أن شيد الناصر لدين الله في هذا الموقع ما سماه مدينة الفتح بجبل حرنكش وشحنها بالآلات و الميرة وأقام فيها الأسواق وأقام فيها الأسواق وجمع لها أهل المهن والفعلة والصناع وغيرهم .[3]

3/ **القصور** : من أهم قصور طليطلة التي تتصل بالعصر الإسلامي قصر طليطلة وهو بناء قديم شيد على صخرة عالية تطل على نهر تاجة ، أمام قنطرة طليطلة ،وكان أيام الروم حصنا فجدده الملوك القوط ، ثم جدد أيام المسلمين.[4]وأنشأ به الحكم بن هشام أمير الأندلس قلعة منيعة لضبط مدينة طليطلة وقمع ثوراتها ، وكانت تستخدم حصنا ومقرا للحكم ،وهذه القلعة هي التي تحولت فيما بعد إلى القصر وله أربعة أبراج كبيرة ، يقوم كل منها في ركن من أركانه الأربعة ، وفي عهد أسرة بني ذي النون أقام ملوكها القصور الشامخة من بينها القصر الذي بناه المأمون يحي بن ذي النون عام 455هـ /1062م وأنفق فيه مالا كثيرا وصنع فيه بحيرة في وسطها قبة من زجاج .[5]

---

[1]- ابن حيان ،المصدر السابق ، ج5،ص319-320.

[2]- التهامي الراجي،الأبواب في الأندلس ،مجلة المناهل ،العدد13،السنة الخامسة ،الرباط ،وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ،محرم 1399هـ/1987ص257.

[3]- أحمد أرشيد الخالدي ، المرجع السابق ،ص221

[4]- السيد عبد العزيز سالم ، في تاريخ والحضارة الإسلام في الأندلس ،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، القاهرة ،1998م، ص225-226

[5]-ابن بسام ، المصدر السابق ،ج1،1395هـ_1975م ،ص 133

4/**المساجد**:طليطلة مدينة متحضرة حسنة الأسواق والمباني ،بها مسجد جامع ومنبر وخطبة[1]، وتعددت أسماء المساجد التي تم ذكرها في طليطلة وبينها : مسجد الباب المردوم ومسجد ذي القاضي القائم بالحزم في طليطلة

ومسجد المسلمين بالقرب من سوق الكمادين ،ومسجد الرمان وجامع طليطلة،[2]و مسجد باب المردوم[3] سمي بهذا الاسم لمجاورته ذلك الباب المسمى بالمردوم ،وهو مسجد صغير طويل كل جانب منه ثمانية أمتار ،تم بناؤه من قبل موسى بن علي البناء بنفقة أحمد بن الحديدي ،وتم إتمام هذا المسجد في عام 390هـ -999م ومواد بنائه كانت من الحجر الجرانيتي والآجر [4].

كانت أموال الأحباس والخراج تستخدم في بناء هذه المساجد وترميمها ،وبالرغم من المادة الشحيحة عن المراكز الدينية بطليطلة في المصادر إلا أننا نستخلص اهتمام الأمراء المسلمين بهذا الجانب ومحاولة منهم إنشاء عدد اكبر منها في بلاد النصارى

5/**الحمامات** : اشتهرت طليطلة بالعمارة والأسواق والعيون والحمامات،[5]حيث انتشر في العصر الإسلامي كثير من الحمامات العامة التي يستحم فيها المسلمون كعادتهم في سائر مدنهم من بينها الحمام الذي كان يسمى أوائل القرن 13م حمام جمانش وحمام زايد في الحي القديم لليهود وهذا الحمام مكون من رواقين بالإضافة إلى المدخل ،وبالحمام مواضي تقليدية [6].

6/**النواعير والقناطر** : كان أهل طليطلة يعتمدون في سقايتهم على نهر تاجة ونظرا لعمق مجرى نهر تاجة بالنسبة لبنيان طليطلة القائم على نجد من الأرض كان الماء يرفع من النهر بواسطة ناعورة كبيرة وهي تصعد الماء إلى أعلى القنطرة ،والماء يجري على ظهرها فيدخل المدينة [7]، ووادي تاجة عليه قنطرة عظيمة ،ويقال أن طولها خمسون باعا ويصير واديها إلى الوادي المنصب إلى شنترة .[8]وعليه كانت القنطرة الواصفون عن وصفها وكانت قوس واحد ،

[1]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 553

[2]- المراكشي أبو عبد الله مُحَمَّد ، السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ،ج2،تح إحسان عباس،لبنان دار الثقافة ،ص280

[3]_ أنظر الملحق رقم 06،ص85

[4]- السيد عبد العزيز ، المساجد والقصور في الأندلس ،القاهرة ،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ،1986ص 111

[5]- ابن حوقل ،المصدر السابق ،ص154.

[6]- السيد عبد العزيز ،المرجع السابق ،ص213.

[7]- الإدريسي ،المصدر السابق ،ج2،ص 551.

[8]- ابن حوقل ، المصدر السابق ،ص113.

تكنفه فرجتان من كل جانب ،وطول القنطرة ثلاثمائة رباع وعرضها ثمانون باعا ،وخربت أيام الأمير مُحَمَّد ،لما عصى عليها أهلها ،فغزاهم وأحتال في هدمها .[1]ولم تقتصر منشآت طليطلة على القصور والقلاع فقط بل اهتم أهلها أيضا ببناء الفنادق والحدائق والأسواق والمقابر وتنظيم المواضع والأحياء .

وإجمالا فإن طليطلة حضت بالمنشآت العمرانية المتباينة منها المدنية والعسكرية والدينية مما أدى إلى إثرائها عمرانيا ،حتى وصفت في المصادر ببناء العمالقة والإتقان وشماخة البنيان .

ومن خلال هذا يمكن القول أن طليطلة منيعة الذات تميزت بالموقع الإستراتيجي الذي خولها أن تكون مدينة ذات أهمية في العصر الإسلامي والمسيحي على حد سواء وثرائها بالموارد البشرية والاقتصادية جعل منها عاملا أساسيا لإثبات دورها في كل من الحياة السياسية والحضارية للعالم مما جعلها محط أنظار الأقاليم المجاورة لها.

[1]- المقري ،المصدر السابق ،ص 191.

## المبحث الثاني: سقوط طليطلة

**المطلب الأول : الأوضاع السياسية قبيل سقوط طليطلة**

**المطلب الثاني : علاقة ألفوسو بطليطلة**

**المطلب الثالث: حصار طليطلة والسيطرة عليها**

## المبحث الثاني: سقوط طليطلة

بعد أن تجزأت الأندلس وأصبحت دويلات متعددة القيادات والجيوش والعواصم ضعف شأن المسلمين في تلك البقعة من المعمورة ، وبعد أن كانت تلك القوى والقدرات تصب في بوتقة واحدة تحت قيادة واحدة تقسمت وتبعثرت كل الجهود لدى مسلمي الأندلس .وبدل أن تصب كل الإمكانيات المتاحة في وجه الأعداء أخذت توجه إلى صدور إخوة الدين في وقت الحاجة لتصويبها نحو العدو المشترك الذي كان يتربص بهم ، هذا ما ساعد على العداوة والفرقة بينهم بدل الوحدة والتكاتف على الخطر المحدق بهم في ذلك الزمان و المكان .

### المطلب الأول : الأوضاع السياسية قبيل سقوط طليطلة

حافظت طليطلة على أهميتها بعد انهيار الخلافة وتمزق الأندلس إلى دويلات طوائف رغم ما مرت به من ظروف سياسية كان لبني ذي نون دور فيها ، فتوالت الأحداث التاريخية تاركة بذلك بصماتها على الوضع السياسي في الأندلس .

#### 1- حكام طليطلة من بني ذي النون :

استمر حكم بني ذي النون منذ (427-478هـ/1036-1085م) ،حيث تعاقب على حكمها ثلاثة حكام أهمهم:[1]

#### أ-إسماعيل بن عبد الرحمان بن ذي النون الملقب بالظافر (427-435هـ/1036-1043م):

حيث كان عبد الرحمان ووالده من المؤيدين لدولة المنصور بن أبي عامر ،واستطاع إسماعيل في هذه الفترة من السيطرة على قلعة فونكة .[2]واحتلال كورة شنتبرية وعند انهيار الخلافة الأموية في قرطبة استجاب إسماعيل ووالده لنداء استغاثة أهل طليطلة وذلك عام (427هـ/1036م).[3]

---

[1]- أنظر الملحق 09،ص88

[2]- قونكة : أو قونقة تقع إلى الشمال الغربي من مدينة بلنسية وإلى الشرق من مدينة مجريط .ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج4،ص415

[3]- محمد عطا الله سالم الخلفيات ،سقوط مدينة طليطلة قاعدة الثغر الأوسط بالأندلس 478هـ-1085م،"مجلة آداب الكوفة "، العدد44،السنة الثانية عشر ،رجب 1441هـ- 2020م،العراق ،ص638

عمل إسماعيل خلال هذه الفترة على توسيع المملكة شرقا حتى جنجالة من عمل مرسية[1]، واستطاع بدهائه أن يكسب تأيد أهل المدينة ،فكان لا يقطع أمرا دون مشورتهم وخاصة كبار المدينة ،أمثال الشيخ أبي بكر الحديدي ،الذي كان يحضا بشعبية كبيرة لدى أهل طليطلة ،فاتخذه إسماعيل ساعده الأيمن ،حيث لا يقوم بأمر إلا بعد مشورته ،وأهم ما يذكر في فترة حكم إسماعيل هو محافظته على مملكة موحدة بعيدة عن الأخطار النصرانية، واتسمت فترة حكمه بالهدوء والاستقرار، حيث توفي سنة (435هـ/1043م) ،وأجمل ابن بسام في خصائص حكمه فقال :" اتفقت له أمور اتسع بها علمه ،وكثر بجانبه جمعه و صحبته سعادته ،فنال صعاب الأمور بأهون سعيه ....."[2]

**ب- يحي بن إسماعيل بن ذي النون الملقب بالمأمون (435-467هـ/1043-1076م):**

وبعد وفاة الظافر خلفه ابنه المأمون ، فحكم طليطلة والمناطق التابعة لها، والتي امتدت شرقا إلى بلنسية ومملكة سرقسطة، غربا إلى حدود مملكة بطليموس،أما جنوبا فامتدت إلى حدود مملكتي غرناطة وقرطبة ووصلت حدود مملكته شمالا إلى المجرى الجنوبي الدويرة[3]. و اعتمد المأمون في فترة حكمه على رأي ابن الحديدي[4].

واتسم عهده بالبذخ والترف حيث دامت سنوات على حكمه قرابة الثلاثة وثلاثين سنة مليئة بالحروب والصراعات بينه وبين المماليك المجاورة، خاصة مع سليمان بن هود[5]، الذي تحالف عليه فرد المأمون على هذا التحالف بمراسلة غرسية.[6]ملك نافارا واستمالته بالأموال فقام هو الآخر بالإغارة على أراضي سرقسطة، وعاث فيها خرابا وفسادا[7].

---

[1]- مرسية: هي كورة تدمير، بناها الأمير الأموي، عبد الرحمان بن الحكم تبعد عن قرطبة عشر مراحل، الحموي، الروض المعطار، المصدر السابق، ص539-540.

[2]-ابن بسام ، المصدر السابق ، ص143-145

[3]- نعنعي عبد الحميد، المرجع السابق، ص167.

[4]- هو أبو بكر يحي بن سعيد بن أحمد الحديدي ، اتصف بغزارة العلم ورتابة العقل وكان كبير الجماعة في طليطلة عند قيام دولة بني ذي النون، قتله القادر بن ذي النون غدرا سنة (468هـ/1075م)، ابن بشكوال ، كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، صح :السيد عزت العطار الحسني ،ط2،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ج3، 1414هـ،1994م ،ص961-962.

[5]- هو سليمان بن محمد بن هود الجذامي، تغلب على حكم سرقسطة خلال فترة حكمه(431-438هـ/1039-1042م)، ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص170.

[6]- غرسية بن شانجة الثالث، خصه والده قبل وفاته ملكة نافارا.ابن الخطيب،المصدر السابق، ص328.

[7]- عبد الله عنان ، لمرجع السابق، ص99.

وظلت الحرب سجالا بين طليطلة و سرقسطة وكان النصارى هم حلفاء كل طرف، ولم يتوقف الصراع بينهم إلا بوفاة سليمان بن هود عام (438هـ/ 1046)، لكن المأمون فتح على نفسه جبهة أخرى إذ اتجه لمهاجمة المظفر بن الأفطس في بطليموس وابن عبادة في اشبيلية، ونشبت بينهم معارك عديدة استنزفت قوة الجميع،وبهذه الأحداث توفي المأمون سنة (467هـ-1075م) في ظروف غامضة ،وذلك بعد أشهر من استيلائه على قرطبة .[1]

### ج-يحي بنإسماعيل بن يحيىالملقب بالقادر بالله (467-478هـ/ 1074-1085م):

و بعد وفاة المأمون خلفه حفيده القادر بالله ،الذي اتسم بقلة الخبرة وضعف الشخصية ،حيث كان سيء الرأي،وكان المأمون عالم بضعف شخصيته فأوصاه قبل وفاته بالاعتماد على الوزيرين ابن الفرج وابن الحديدي في تسير مملكته وليسهل عليه الأمر قام بتقسيم أمور الدولة بين هذين الشخصيتين فخصص الأعمال الديوانية لابن الفرج والنظر في شؤون الرعية والبلاد لابن الحديدي [2].لكن القادر لم يحسن تسير أمور مملكته فعمت الاضطرابات والفوضى

### 2- علاقة ملوك الطوائف بطليطلة

بعد أن شهدت طليطلة العديد من التغيرات السياسية في ظل حكم أسرة بني ذي النون ، الذين تمكنوا من تكوين أكبر دول الطوائف فيها ،حيث ساعدهم الموقع الاستراتيجي في ذلك .كونت علاقات مع ملوك الطوائف والممالك النصرانية المحاذية لها باختلاف طبيعتها .فأخذ كل حاكم يعد العدة للصراع مع جيرانه الذين هم إخوانه في الدين وأقرانه في المصير المشترك ،لذلك لابد من ذكر بعض الصراعات المتعلقة بالمدينة .

### أ- صراع طليطلة و سرقسطة

اندلع الصراع بين بني هود الذين كانوا حكاما على سرقسطة وبني ذي النون في طليطلة ، وما رافق ذلك من استعانة كل طرف بالممالك النصرانية سنة 435هـ ،أي بعد وفاة الظافر بن ذي النون وتولي يحي بن إسماعيل الحكم بعده.[3] حيث استغل سليمان بن هود [1]فرصة وفاة الظافر ظنا منه أن الوضع في طليطلة أصبح أضعف مما

[1]- قرطبة : تقع على نهر الوادي الكبير ،وهي قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين . الحميري ، المصدر السابق ،ص،456-457

[2]- محمد عطا الله سالم ،المرجع السابق ،ص 300

[3]- ابن عذارى، المصدر السابق ، ج3،ص 277-278

مما كان عليه، وأرسل جيشا بقيادة ابنه أحمد بن سليمان للسيطرة على وادي الحجارة التي كانت تابعة لطليطلة ،وحين وصول الجيش إلى أبواب المدينة نشب الصراع بين أنصار بني ذي النون والجيش السر قسطي ،في حين ساعد المؤيدين الراغبين للانضمام إلى حكم بني هود في المدينة الجيش السر قسطي،وحدث كل هذا دون علم يحي بن ذي النون ،وعند علمه بذلك اتجه بجيشه لملاقاة ابن هود ،حيث كانت نهاية الصراع لصالح ابن هود مما أثر في المأمون وجعله يعود لطلبيرة و يتحصن بها [2].

وقام بمحاصرته أحمد بن سليمان وكتب لأبيه عمله، فطلب منه العودة وفك الحصار، فامتثل لأوامر أبيه، و غاية ابن هود في ذلك لم تكن واضحة، لكن المأمون أحس بالمهانة بسبب ما ألحق به من هزيمة ،وهذا ما دفعه للاستعانة بملك النصارى وحثه على القيام بمهاجمة بلاد ابن هود مقابل المال ،فوافق شائجة على ذلك وعاث خرابا في سرقسطة ،حيث صادف ذلك موسم الحصاد فعملت قوات النصارى على جمعه مما جعل المدينة تدخل أزمة اقتصادية ،ولم يكتف المأمون بذلك فعاث في أطراف سرقسطة واستحوذ عليها ،والموقف هذا كان دافعا للنصارى في التفكير بالاستيلاء على بلاد المسلمين .[3]

وما إن تنفس ابن هود بعد الحصار الذي شهده من قبل القوات النصرانية ،حتى سلك نفس طريق المأمون والاستنجاد في العام الموالي ،حيث طلب المعونة من فرديناند بن سانشو[4] مقابل الهدايا والأموال للهجوم على طليطلة ،فاغتنم النصارى ذلك وتوجهوا إلى طليطلة وعاثوا فيها خرابا ،وظل الحال بين ابن هود وبني ذي النون في الاستنجاد بالنصارى حتى قويت شوكة النصارى على المسلمين في كل من سرقسطة و طليطلة ،واستمرت العداوة بينهم من سنة 435هـ إلى 438هـ فهلكت الحرث والنسل ،ولم تتوقف إلا بموت سلمان بن هود عام 438هـ ،واستمر توقف العداوة بين طليطلة و سرقسطة حتى وفاة المأمون بن ذي النون سنة 467هـ ،وخلفه القادر بن ذي النون الذي عرف بضعف شخصيته ،فطمع الطامعون في بلاده .وأول من تقدم للسيطرة عليها المعتمد بن

---

[1]- ابن هود : هو سليمان بن محمد بن هود الجذامي، تغلب على حكم سرقسطة خلال فترة حكمه(431-438هـ/1039-1042م)، ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص170.

[2]- ابن الخطيب، أعمال الإعلام، المصدر السابق ص178

[3]- ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج3، ص278

[4]-خلف فرديناند الأول ولده شائجة الثالث في حكم مملكة قشتالة وليون سنة (426هـ/1035م)، وتوفي سنة(458-1065م)، عبد الرحمان حجي ، المرجع السابق، ص327-328.

عباد لما كان بينه وبين جده المأمون من العداوة والتنافس ،فاستولى العباد على قرطبة[1] و طلبيرة و غافق والمنطقة الممتدة بينهما .[2]

كما أن أحمد بن سليمان بن هود صاحب سرقسطة بدأ الحرب ضد القادر واستعان بابن ردمير الأول الذي مكنه من السيطرة على شنتبرية[3] ومولينة [4] ، ولم يستطع القادر الدفاع على مدينة نظرا لقصر باعه في إدارة شؤونها ،واستنجد بألفونسو السادس [5] .

ومن نتائج هذه السياسة التي مارسها القادر بن ذي النون هي انفصال بلنسية عن المملكة ،وذلك حين أعلن أبو بكر بن عبد العزيز[6] استقلاله بنفسه ،وحتى يعزز ابن هود الانفصال حاطب ابنه أبي بكر في ذلك ، ولم ولم يكن يرمي أمير سرقسطة في حقيقة الأمر إلا إلى ضمها حين يكون ذلك ممكنا ،لكنه لم ينل ذلك فقد ظل أبو بكر بن عبد العزيز حاكما عليها إلى حين وفاته (478هـ-1085م).[7]

وبهذا يمكن القول أن الصراع بين دول الطوائف في الأندلس تمثل في اقتتال دولتي سرقسطة و طليطلة واستعانة الواحد منها بالممالك النصرانية ضد الآخر، قد أدى إلى تخريب وتدمير الحصون الإسلامية ومواردهم الاقتصادية .

**ب- الصراع بين طليطلة وبقية دول الطوائف ( قرطبة – بطليوس- اشبيلية )**

من بين الصراعات الأولى التي شاهدتها طليطلة أيضا هو النزاع المسلح بينها وبين قرطبة ،إبان حكم الظافر إسماعيل بن ذي النون والسبب المباشر لذلك هو رفض ملوك الطوائف الانصياع والاعتراف بسلطة قرطبة عليهم ،وكانت سياسة أمير قرطبة في ذلك هو الدعوة إلى التوحيد والاعتراف بقرطبة بطرق سلمية ،ففشل في ذلك

[1]- قرطبة: تقع على نهر الوادي الكبير، وهي قاعدة الأندلس وأم مدائنها، مستقر خلافة الأمويين، الحميري ، المصدر السابق، ص456-457.

[2]- ابن الكر دبوس ، المصدر السابق ، م13، ص79

[3]-شنتبرية: مدينة متصلة بحوز سالم بالأندلس، وهي مدينة كبيرة وهي شمال شرق طليطلة ، ياقوت الحموي: المصدر السابق ،مج3، ص616.

[4]- مولينة : هو حصن في مقاطعة كونكا شمالي شرق طليطلة يعرف بمولينة ،وكانت تعرف باسم أركبيقة ،ابن الكر دبوس ، المصدر السابق ،ص80.

[5]-ألفونسو السادس : هو ابن فرديناند بن سانشو الملقب بالكبير وكان أبوه قد جعل له حكم ليون و اشتوريس ، أشباخ يوسف ،تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ،تر: عبد الله عنان ،ط3،ج1 ،مكتبة الخانجي،القاهرة ،1996م ،ص20-22 .

[6]- أبو بكر بن عبد العزيز: هو أبو بكر بن محمد بن مروان بن عبد العزيز القرطبي، وكان أبوه وزيرا للأمير عبد العزيز العامري صاحب بلنسية وزيرا لابنه من بعده عبد الملك المظفر بن عبد العزيز، واستمر في حكم بلنسية باسم بني ذي النون حتى وفاة المأمون سنة(467هـ/ 1075م)،ابن عذارى ،المصدر السابق ، ج3،ص266.

[7]- نفس المصدر ،ص266.

وعمل على توجيه جهوده نحو المناطق الصغيرة آملا في ذلك إعادة إخضاعها ،فبدأ بشن الهجوم على منطقة سهلة [1] بعد أن رفض حاكمها الاستجابة لدعوته ،إلا أن إسماعيل بن ذي النون لم يقبل بما حدث وعمد على استرجاع السهلة و إعادتها لحكامها .[2]

ولم يكتف إسماعيل بذلك وعمل على تهديد سلامة قرطبة بإستلائه على حصن المدور [3] ،فعمد عبد الملك ابن جهور الاستنجاد بالمعتمد بن عباد ،وعاد إسماعيل بن ذي النون إلى طليطلة ،وقامت القوات الأشبيلية بالإستلاء على قرطبة والإطاحة بحكم بني جهور .[4]

ومن حظ قرطبة في تلك الفترة انشغال طليطلة بالحرب مع سرقسطة وما رافق ذلك من قيام ملك قشتالة وليون و جليقة بمهاجمة المناطق الشمالية لطليطلة مساعدة لسرقسطة ،التي كانت تدفع لهم أموال طائلة للقيام بذلك ،وهذا ما تطلب بقاء القوات على الحدود الشمالية مع دولة قشتالة وليون والحدود الشرقية مع سرقسطة .مما دفع بالمأمون بن ذي النون القيام بعقد الهدنة لأكثر من مرة مع قرطبة ،وعندما تفرغ المأمون لقرطبة فتح معها معارك تكللت بالنجاح بعد تحالفه مع عبد العزيز بن عامر صاحب بلنسية [5] .وبعد أن توقفت الحرب مع سرقسطة عام 438هـ بدأ المأمون صراعا جديدا مع بني الأفطس ببطليوس .[6] ولكن ما إن انشغل بصراعه مع اشبيلية الذي نتج عن التنافس بين الدولتين .[7] إذ أن حدث تقارب بين اشبيلية وقرطبة وانضمت بطليوس إلى ذلك التحالف بتوسط ابن جهور بين بني الأفطس وبني عباد الذين كانوا في حرب دامية عام (443هـ-1051م) وتمت المصالحة بينهما عام (444هـ-1052).[8]في مقابل ذلك تحالفت كل من طليطلة و بلنسية والسهلة وقوات من فرسان قشتالة الذين قدموا إلى طليطلة ،فحدثت معارك عديدة بينهم خلال أعوام فقرر بعدها المأمون إلى التوجه بكامل قواته وقوات حلفائه إلى لقاء حاسم مع أعدائه ،فأسفرت بذلك معركة بين الجانبين كانت نتيجتها هزيمة قوات كل من قرطبة و بطليوس واشبيلية عام( 452هـ -1060م)، وبهذا النصر للمأمون تغيرت مجرى أحداث التاريخ في الأندلس ،حيث مالت الكفة لصالح طليطلة ،وتقدمت بذلك قوات طليطلة نحو

[1]- سهلة: تعرف بشنتبرية الشرق استولى عليها هذيل بن رزين المعروف بابن الأصلع عام 403هـ .ابن عذارى ،المصدر السابق،ج3، ص131

[2]- أشباخ يوسف ،المرجع السابق،ج5 ،ص40-41.

[3]- حصن المدور : هو عبارة عن مدينة في غاية الحصانة والمنعة يقع على مقربة من قرطبة ، الحموي ،المصدر السابق ، ج5، ص88.

[4]- ابن عذارى، المصدر السابق ، ج3، ص259.

[5]- أشباخ يوسف ، المرجع السابق ،ص41.

[6]- باطليوس : من أقاليم ماردة بينهما أربعون ميلا ، الحميري ،المصدر السابق ، ص46.

[7]- ابن بسام، المصدر السابق، ق1، م2، ص128.

[8]- ابن عذارى ،المصدر السابق ،ج3،ص211.

قرطبة وحاصرتها إلا أن طلب الاستغاثة الذي تقدمت به قرطبة إلى اشبيلية حال دون سقوطها بعد رفع الحصار عنها .[1]وظهر أن القوات الاشبيلية لم تستجب لإغاثة ونصرة أهل قرطبة إنما كانت لتحقيق أغراضها في استيلائها على قرطبة بعد ابتعاد القوات الطليطلية ،وفقا لتعليمات سرية زودهم بها المعتمد بن عباد [2]،لكن الصراع لم يتوقف يتوقف فاستغل المأمون انضمام القائد ابن عكاشة إليه في تدبير أمر الاستلاء على قرطبة وتخليصها من سيطرة ابن عباد و إخضاعها لسلطته وهذا ما حدث عندما حاصر قصر قرطبة وقتل ابن المعتمد وذلك سنة 467هـ ،وأخبر المأمون بذلك فقدم إليه في نفس العام وظل فيها إلى أن توفي بعد ستة أشهر من دخولها [3] ، وبعد أن استقر القادر على عرش طليطلة ، وأوغر من حوله من عبيده ومواليه أن حكمه لن يستقر إن لم يقتل ابن الحديدي[4]، فرأى القادر ضرورة التخلص من ابن الحديدي ، وعمد إلى تدبير مؤامرة بعد إطلاق صراح ابن الحريري والاتفاق معهم على اغتياله[5].

وبتدقيق النظر في الأحداث السابقة يلاحظ أن أواخر عام 465هـ وبداية عام 466هـ شهدت تحرك القوات الطليطلية للسيطرة على المناطق الشرقية لمنطقة بلنسية ،ولكن هم المأمون كان منصبا على قرطبة ،حتى أخضعها لحكمه وبذلك بلغت طليطلة أوج توسعها في عهده .

### 3- مؤامرات النصارى في استرجاع طليطلة:

سمحت الديانة الإسلامية بحرية ممارسة المعتقد مما عمل به النصارى في ظل الوجود الإسلامي بطليطلة فتركهم المسلمون أحرار ينظمون أمورهم على النحو الذي أرادوه ماداموا على الطاعة ،وبهذا انتهز النصارى الفرصة في تنظيم المؤامرات لغزو بلاد الأندلس واسترجاعها بنقض العهود المبرمة في إطار عقد الذمة ،عن طريق العصيان والتمرد للضرائب المفروضة عليهم مما دعاهم للبحث عن مخلص لهم .[6]فطلبوا من ألفونسو تحريرهم من قبضة المسلمين ،وبذلك عملوا على تسهيل مهمة نصارى الممالك المسيحية بالشمال بالإعداد لغزو البلاد التي يقيمون

---

[1]- ابن بسام ،المصدر السابق ، ق1،م2،ص124

[2]- ابن عذارى ،المصدر السابق ،ج3، ص267

[3]- ابن الآبار ، الحيلة السيراء ، ج3،ص 444

[4]- هو أبو بكر يحي بن سعيد بن أحمد الحديدي، اتصف بغزارة العلم ورتابة العقل وكان كبير الجماعة في طليطلة عند قيام دولة بني ذي النون، قتله القادر بن ذي النون غدرا سنة (468هـ/1075م)، ابن بشكوال ،المصدر السابق، ج3، ص961-962.

[5]- عبد الله عنان ، المرجع السابق، ص107.

[6]- ابن السماك العاملي ، الزهرات المنشورة في أخبار النكت المنثورة ،تح: محمود علي مكي ،منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ،اسبانيا ،1404هـ-1974م ص202

بها بين المسلمين ،ومن أمثلة ذلك حصار قلمرية سنة (456هـ-1064م) فلعبوا بذلك دورا بارزا في مساعدة الجيش القشتالي حتى اضطرت المدينة للاستسلام .[1]

واستغل نصارى الشمال ضعف ملوك الطوائف للسيطرة على طليطلة ومحاولة تحين الفرصة للسيطرة على الأندلس ومن مظاهر ذلك أيضا تقرب ملوك الطوائف من ملوك النصارى خوفا وطمعا من أجل حماية مناصبهم ،ووصل بهم الأمر لدفع الضرائب لملوك النصارى مقابل الحفاظ على سلطانهم أمثال بن العباد باشبيلية الذي كان يدفع الضريبة لألفونسو بعد سيطرته على طليطلة .[2]

### 4- ثورة أهل طليطلة

أحدثت واقعة مقتل ابن الحديدي آثار على الوضع الداخلي كمرحلة خطيرة من تاريخ طليطلة حيث انقسم سكانها إلى حزبين متعاديين، كادوا أن يسفروا عن حرب أهلية داخل البلاد، فانفتحت بعد مقتل ابن الحديدي الدسائس والمؤامرات ،وبوفاة المأمون بدأت الدولة في التفكك و الانحسار ، وهذا ما كان يسعى إلى تحقيقه مجموعة من المتآمرين [3]، فتقدم أحمد بن سليمان بن هود حاكم سرقسطة من جهته واستولى على شنتبرية ومدينة بمساعدة قوات من مملكة نافار وأرغون بقيادة سانشو بن ردمير ،وحاول ابن هود وابن ردمير الاستيلاء على كونكة ، كما ستنزع المعتمد بن عباد من القادر قرطبة وطلبيرة وغافق وبعض المناطق المجاورة لهاتين المنطقتين وهاجم القشتاليين المناطق الشمالية لطليطلة واستولوا على بعض الحصون كحصن سرية وقورية.[4] و أدت هذه التنازلات إلى ثورة داخلية في طليطلة عام (472هـ/ 1080م)، أجبرت القادر على الخروج من المدينة هو وأهله بعد أن خلع أهل طليطلة طاعته، لتصبح بذلك طليطلة بلا حاكم، فاتفق وجهاء المدينة على مراسلة المتوكل بن الأفطس أمير بطليوس ومبايعته ليتولى تسيير أمور المملكة عام 476هـ .[5] أمام هذه المتاعب والهموم، لم يجد القادر أمامه عونا ونصرا إلا حليف جده ألفونسو السادس ملك قشتالة فأرسل إليه التماس يد العون والمساعدة، فاستجاب له بشروط منها: – تسليمه بعض القلاع و الحصون وما يطلبه من مال نظير هذه المساعدة. وشن

[1]-ابن عذارى ،المصدر السابق ،ج3،ص238-239

[2]- ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج2، ص62

[3]- ابن الكردبوس ،المصدر السابق ،م13،ص79-82

[4]- سرية و قورية: من مدن قشتالة القديمة، كانت ضمن بلدان الثغر الأعلى، المعروفة باسم (soria) و (coria)، مؤلف مجهول، الحلل الموشية ، المصدر السابق، ص35.

[5]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 180

ألفونسو بذلك الغارات على طليطلة وحرق زرعها وأسر وقتل أهلها ،فسخط الأهالي من الوضع أكثر وعاودوا الثورة على القادر بن ذي النون عام (474هـ-1082م )،ولكن هذه الثورة لم تأت بالجديد .[1]

هنا يجدر بنا القول أن ضعف شخصية القادر عملت على وضع طليطلة وأهلها على محك الثورات الداخلية، وأيادي النصارى الطامعة في إعادة أمجادهم في هذه المدينة، و الأمرّ في ذلك أن فرار القادر من طليطلة لم يكن لإعادة ترتيب أمور دولته والعودة إلى تنظيمها إخماد الثورات بها، بل استقوى على أهلها واستعان بألفونسو.

وختما لذلك نستنتج أن الأوضاع السياسية التي ألت إليها ملوك الطوائف بصفة عامة و طليطلة بصفة خاصة كانت تنبأ بحالة المسلمين المتدهورة في تلك الفترة والذي نتج عليه ضعف شوكتهم ومساندتهم لبعضهم ضد النصارى ،حيث تقاو القوي على الضعيف منهم بمساندة النصارى في ذلك وإشعال فتيل الفرقة بينهم لإضعافهم

## المطلب الثاني: علاقة ألفونسو بطليطلة:

بعد فرار القادر من طليطلة في ظل الظروف السابقة الذكر، انتقل إلى حصن وبذة إلى مدينة فونكة، وكتب إلى ألفونسو ملك قشتالة طالبا منه المساعدة لإعادته إلى حكم طليطلة، فأسرع ألفونسو في الاستجابة إلى طلبه واتفقا على محاصرة طليطلة بشروط وضعها ألفونسو على القادر مقابل هذه المساعدة منها: إعطائه جميع أموال المدينة بعد استعادتها والتنازل له عن حصني سرية قورية.[2]

خرج ألفونسو السادس مع القادر نحو طليطلة في كتيبة من قومه، ومن الطرف الآخر المتوكل بن الأفطس، الذي لم يتوان في نهب وسلب كل الأثاث والسلاح والإرسال به إلى بطليوس، حيث لم يعمل شيئا خلال فترة حكمه التي أقامها في طليطلة لمحاولة ردع ألفونسو.[3]

فسار القادر بصحبة حليفه ألفونسو نحو طليطلة ، وعملا على محاصرة المدينة ،مقابل ذلك انشغال المتوكل بن الأفطس في حمل أملاك وذخائر القادر.[4]وفي عام (473هـ- 1080م)، دخل ألفونسو مع القادر إلى طليطلة ونكلا بأهلها الذين حاولوا التصدي لهم، ولكن لم يفلحوا في ذلك، واستقر القادر على عرشه مرة أخرى، وعمل

[1]- محمد عطا الله سالم، المرجع السابق، ص163-164.

[2]- ابن الكر دبوس ،المصدر السابق ،ص82.

[3]- بوخاري عمر، إمارة طليطلة في عهد يحي القادر بالله (467-478هـ/ 1074-1085م)، "مجلة القرطاس،" العدد الحادي عشر، جانفي2019، ص25.

[4]- ابن بسام المصدر السابق، ق4، مج1، ص161.

على جمع الأموال من المدينة وتقديمها إلى ألفونسو الذي لم يرض بها، فزاده ورثته من أجداده من الكنوز والنفائس.[1]ولكن على ما يبدو أن ما أخذه ألفونسو لم يف بها قاطعه عليه، فطلب منه حصن قتالش[2]، مقابل ذلك رهنا فمنحه إياه، فبعث ألفونسو إليه جنوده وعاود الرجوع إلى قشتالة وبحوزته النفائس المقدمة من القادر مقابل خدمته[3].

و كانت سياسة ألفونسو في تسير علاقته مع ملوك الطوائف بصفة عامة، والقادر بن ذي النون بصفة خاصة، هي إشعال فتيل الاضطرابات الداخلية ،و الانقلاب عليه لمحاولة الاستنجاد به لتأييده فيما بعد بما يحتاجه مقابل المال إلى أن يستفرغ خزائنه وذخائر المدينة وبالتالي السيطرة عليه وعلى مملكته .[4]

و بقي ألفونسو على سياسته التي رأى فيها أجدر السبل للوصول إلى أهدافه، التي تمثلت في الاستيلاء على المدن الإستراتيجية الواحد تلوى الأخرى، وذلك بتلبية القادر وإرضاء رغباته بالمال وطلب المزيد في كل مرة، حتى عجز القادر عن الدفع وجعل ألفونسو ذلك ذريعة لغزو طليطلة وتخريبها[5].

أما سياسته مع الرعايا كانت على درجة عالية من الإساءة ، حيث عهد على الفرقة والفجوة بينهم، اعتقادا منه أن توحداهم خطر على تواجده في قشتالة، ولمحافظته على عرشه من قمع الخارجين عنه الذين كانوا رافضين حكم النصارى لبلادهم.فعمد في منح المناصب العليا وحكومته وإدارتها إلى المغامرين والانتهازيين ممن عرفوا بعدائهم للفئات المحافظة، وكان يثير سفلة القوم على الأعيان والفقهاء وذلك لاشتغالهم عنه. وظل ألفونسو السادس متفطنا لإبقاء القادر على عرش طليطلة لأنه كان مطيعا له، وذلك لإبقاء طليطلة مهيأة للسقوط، حيث كان قد خطط لذلك مسبقا، ويتجلى ذلك من خلال مخاطبته قداسة الباب لإعادة كرسي رئيس أساقفة اسبانيا إلى طليطلة التي فقدت منصبها منذ زمن طويل.[6]

[1]- محمد عطا الله سالم، المرجع السابق، ص664.

[2]- قتالش: كلمة تطلق على عدة أماكن مختلفة أنحاء اسبانيا، وهو جمع قناة أو قتال، والمقصود هو قرية قتالش التي في شمال طليطلة على الحدود القشتالية، بوخاري عمر، المرجع السابق، ص34.

[3]- المرجع نفسه، ص26.

[4]- ابن سعيد ،المصدر السابق ،ج3،ص13

[5]- ابن الكردبوس ،المصدر السابق ،م13،ص84

[6]- ابن بسام ، المصدر السابق ، ق4،م1،ص 164

وبهذه السياسة وعلاقة ألفونسو السادس بالقادر بن ذي النون وملوك الطوائف ،استطاع ألفونسو ملك قشتالة إشعال الفتن والثورة ضد القادر و إضعاف طليطلة ثم الاستلاء والسيطرة عليها.

**المطلب الثالث: حصار طليطلة والسيطرة عليها**

بعد الحوادث التي جرت في طليطلة وعودة القادر بعد فراره، واستغلال ألفونسو لذلك، زاد تأزم الوضع الاقتصادي خلال (473هـ-1080م)، وهذا ما أكد عليه ابن بسام إذ قال: " ...ما إن استقر القادر على عرشه حتى استخف بأهل مدينته، فضرب مدبرهم بمقبلهم، وولى أخرهم كبر أولهم حتى طمع فقيرهم في غنيهم ، وأصبح الرجل يرتاع من ظله.....".[1]

بيد أن ألفونسو كان يشن الغارات على طليطلة وينسف مرافقها ويحرق مزارعها ويأسر ويقتل أهلها، فبلغالدمار والخراب المدينة، وزاد سخط أهلها عليه، ولكن ألفونسو أصر على التجبر والمبالغة في مطالبة القادر بالأموال وكانت بغيته في ذلك إضعاف السكان والسيطرة على المدينة فيما بعد،[2]ومن ذلك اشترط على القادر بن ذي النون لقاء رهائن حصن قشتالة مائة وخمسين ألفا مثقال من الذهب وخمسة مائة من الطعام ضيافة له عن كل ليلة أمضاها طوال مدة بقائه في هذا الحصن، فسخط الأهالي من الوضع وثاروا ثورة كبيرة ضد القادر بطليطلة، في اليوم العاشر من ذي الحجة من سنة (474هـ-102م)، ولكن هذه الثورة لم تأت بالجديد.[3]

و اشتد ألفونسو في ضغطه على طليطلة خاصة وأنه قد استفحل أمره بالأندلس، وكان يعينه ضد طليطلة قريبه هيبو الأول دوقبرجنديا، كما قوى طموح الأمراء والمسلمين على طليطلة وأحوزها، ولما وصل إليه حال طليطلة فقد أصبح سقوطها منذ إعادة ألفونسو للقادر إلى الحكم مسألة قرب وقتها.[4] خاصة و أن ألفونسو أدرك أدرك بعد مكوثه في المدينة عدة أشهر أن السبيل للإستلاء على طليطلة هو الحصار وذلك نقلا عن إحدى الروايات أنه أثناء إقامته في المدينة في ضيافة المأمون استمع إلى حديث بعض الرجال في طريقة الدفاع عن المدينة بقولهم أن لا سبيل لتغلب العدو عليها إلا بطول الحصار.[5]

[1]- ابن بسام ،المصدر السابق، ق3، مج1، ص112.
[2]- ابن الكردبوس ،المصدر السابق ،م13،ص85
[3]- محمد عطا الله سالم ، المرجع السابق ،ص648
[4]- عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص293.
[5]- محمد عطا الله سالم، المرجع السابق، ص649.

وساعد ألفونسو في إضعاف المدينة المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية، فعمل على تجديد معاهدة الصلح والهدنة الذي عمد فيها فيما سبق على إرسال وزيره المخضرم أبو بكر بن عمار،[1]إلى قشتالة لإبرام الصلح، وانتهت المفاوضات على عقد معاهدة بين الطرفين تضمنت البنود التالية:

1/ يلتزم الملك ألفونسو بمعاونة ابن عباد بالجند والمرتزقة ضد جميع من يناوئه العداء من المسلمين.

2/ يتعهد ابن عباد بأن يؤدي لملك قشتالة جزية سنوية كبيرة، جعلها ابن بلقين المعاصر للأحداث خمسين ألف دينار.[2]

3/ يعترف ابن عباد بتبعية الأراضي الواقعة شمال جبال الشارات لملك قشتالة، بينما يترك لابن عباد أحقية غزو أراضي مملكة طليطلة الجنوبية.

4/ يتعهد ابن عباد بعدم الاعتراض على مشروع ألفونسو الرامي لفرض هيمنته على طليطلة.

في ظل هذه الأحداث انشغل ابن هود بمحاربة ملك أراغون و أمراء برشلونة حتى توفي سنة (474هـ/1081)، وبوفاته اندلعت الحرب الأهلية في سرقسطة خلفتها عن مدّ يد العون لطليطلة.[3]

وبهذا تابع ألفونسو أعماله التخريبية وعمل على استنزاف ملوك الطوائف التي لم تتوقف بالمراسلة إليه.[4]

وفي خريفسنة (477هـ/1084م)، تقدم ألفونسو بجيش ضخم نحو المدينة وضرب عليها حصارا شديدا وقطع عنها كل العلاقات مع ملوك الطوائف، فقلت المئونة وضاق حال الناس وكانت كل الاستغاثات دون جدوى،[5]وعلى اثر هذا الحصار اضطر القادر ملقاة ألفونسو يعرض عليه الجزية ، والاعتراف بسلطانه على المدينة، المدينة، فرفض ألفونسو وأخضعه على تسليم المدينة كاملة له دون شروط، وأمام حالة الضعف لم ير القادر بدا من الخروج عن حكم طليطلة، غير أنه بدلا من تنازله عن حكمها لأحد الأمراء المسلمين تركها لألفونسو.[6]

---

[1]- هو أبو بكر مُحَمَّد بن عمار بن حسن المهري، صاحب المعتمد بن عباد منذ صباه، ولما آلت إليه مقاليد الحكم جعله وزيرا له غير أنه لم يلبث أن انقلب على سيده المعتمد، واستقل بمرسية، لكن قبض عليه المعتد وقتله سنة (477هـ/1084م)، ابن الآبار، المصدر السابق، ج2، ص131-165.

[2]- عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص293.

[3]- مُحَمَّد عطا الله سالم، المرجع السابق ، ص649.

[4]- عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص293.

[5]-ابن بسام المصدر السابق، ق4،ص165.

[6]- نفس المصدر نص166

وبهذا الحال سقطت طليطلة بعد حصار دام أكثر من تسعة أشهر بعد اتفاق بينه وبين القادر على أن يمكنه من بلنسية و أحوزها مقابل تسليمه طليطلة، بشروط بينه وبين أهلها تضمن ما يلي:

1/ أن يقدم أهل طليطلة عددا من أعيانهم كرهائن.

2/ يؤدي المسلمين ما كانوا يؤدون من ضرائب إلى ملك قشتالة .

3/ احتفاظ المسلمين بمسجد طليطلة الجامع

4/ أن يؤمن أهل طليطلة على أنفسهم وبنيهم وأموالهم.

5/ تسليم المدينة لألفونسو.[1]

و هكذا استمر الحصار تسعة أشهر، إلى أن استبد الجوع بالناس ولم تفلح محاولات المسلمين في الوصول لتسوية. لم يرضّ ألفونسو سوى بتسليم المدينة كاملة [2]، وفعلا تم ذلك عام (478هـ/1085م) .[3].، في العاشر من شهر محرم، وتوجه إلى المسجد الكبير الذي وحوله إلى كاتديرائية، وصلى فيه قداس الشكر ، وصارت العاصمة للمملكة قشتالة، وهكذا سقطت طليطلة في أيدي النصارى[4].

## 1- عوامل سقوطها :

تعددت أسباب السقوط والفاجعة والنكبة كان لها آثارها على المسلمين ،وجعلت ملوك الطوائف يستفيقون من صفعة النصارى التي تجسدت في رغبة ألفونسو السادس في استرجاع الجزيرة الابيرية لحكم النصارى ،من العوامل التي ساعد بطريقة أو بأخرى في سقوط طليطلة والتي يكن تقسيمها إلى مباشرة وغير مباشرة نورد ما يلي :

[1]- ابن الكردبوس ، المصدر السابق نص78-79

[2]_أنظر الملحق رقم 04،ص83

[3]- عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص304.

[4]-الحميري، المصدر السابق، ص135.

**أ- الأسباب المباشرة :**

- حياة الترف واللهو وسياسة البذخ التي عاشها حكام بني ذي النون في طليطلة كاالمأمون والقادر بالله ، التي كانت تستنزف أموالا طائلة في بناء القصور والإنفاق على الملذات ،بدلا من إنفاق تلك الأموال في شراء الأسلحة والإعداد لحروب ممالك النصارى وبناء الحصون والقلاع اللازمة.ومن الأمور المساهمة أيضا لجوء بعض أفراد بني ذي النون إلى أعداء طليطلة ،حيث كان الخلاف الذي حدث في الأسرة الحاكمة له دور في كشف أسرار ونقاط الضعف في الدولة الطليطلية مما مكن أعدائها في شن الهجمات عليها أدت إلى إضعافها .[1]

- ضعف شخصية القادر بالله وقلة معرفته بشؤون الحكم، و عدم امتثاله لنصائح جده في اتخاذ رأي ابن الحديدي و الاعتماد عليه، واستبدال ذلك برفقاء السوء حتى ثاروا ضده .[2]

- إيواء الملك القشتالي ألفونسو السادس إلى طليطلة ،عندما لجأ إليها هاربا من بطش أخيه شائجة عام (4664هـ-1072م) ،وهذا ما عمل على اطلاعه على عورات المدينة ،وهو ما أوجب تملك النصارى بها .[3]

- الحصار الذي شنه ألفونسو والذي اطلع على حيثياته من خلال مصاحبته لرجال المأمون ،حيث تعرف منهم أن الاستيلاء على المدينة لا يكون إلا بالحصار الطويل الأمد .

- إتباع ألفونسو سياسة منهجية ضد أهل طليطلة هدفت إلى إضعافهم و إفقارهم وتشتيت صفوفهم ،وكان ذلك من خلال أخذ أموالهم ,تخريب وإبادة ضياعهم و مزروعاتهم ،ويشير إلى ذلك ألفونسو بقوله :"فبأي وجه أطمع في أخذها ،إن كان الرأي تهديد بعضهم ببعض ،وأخذ أموالهم أبدا ، حتى ترق وتضعف ثم هي تلقي بيدها إذا ضعفت .....كالذي جرى بطليطلة ".[4]

- انقسام أهل طليطلة وتشتيت صفوفهم ،فمنهم من أيد القادر ومنهم من عارضه ومنهم من تواطأ مع النصارى وأيضا موقف ملوك الطوائف و التواطؤ مع النصارى وملك قشتالة بدلا من التعاون ودحر عدوهم ،وذلك من خلال مساءلة رضاه بتقديم الأموال والهدايا له في سبيل أبقائهم على حالهم وهو مشدد لحصار المدينة ،والشاهد

[1]- الطرطوشي ،سراج الملوك ، تحقيق جعفر البياني، ط1، رياض الريس للكتب و النشر، 1990م ص45

[2]- ابن بلقين ، التبيان عند الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ، تح: ليفي بروفيتسال ،ط 1، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،2006م، ص77

[3]- ابن الخطيب ،أعمال الأعلام ،ص330

[4]-عبد الرحمان حجي ،المرجع السابق ،ص332

على ذلك ما جاء في إحدى رسائل ألفونسو للمعتمد إذ يقول :" ... وقد أصبرتمُ ثم ما نزل بطليطلة وأقطارها ،وما صار بأهلها حين حاصرها ،فأسلمتم إخوانكم وعطلتم بالدعة زمانكم ..." [1]

**ب– الأسباب غير المباشرة :**

ومن الأسباب غير المباشرة التي أدت إلى سقوط طليطلة نذكر :

– حالة الفوضى و الاضطرابات التي رافقت انتقال الخلافة من الدولة الأموية إلى الدولة العباسية في المشرق الإسلامي والتي أدت إلى خلع الأندلس وانسلاخها من جسم الدولة الإسلامية ،مما أدى ذلك فيما بعد إلى تفاقم الأوضاع الداخلية في الأندلس من مجاعات واضطرابات ونزاعات داخلية ،و ظهور الممالك النصرانية في شمال شبه الجزيرة ،وتوسع الممالك فيما بعد إبان فترات الضعف والفوضى التي شاهدتها الأندلس خاصة في عصر الإمارة والخلافة بسبب الثورات الداخلية التي شاهدتها هذه الفترات وهذا ما ساعد النصارى على تثبيت كياناتهم السياسية في الشمال والتوسع جنوبا على حساب الأندلس .[2]

كل هذه العوامل كان لها دور فيما بعد على سقوط طليطلة، وغيرها من المناطق الأندلسية بأيدي ممالك النصارى ،إذا أن بوادر سقوط طليطلة بدأ منذ ذلك الزمن البعيد وأعطيت ثماره من النصف الثاني من القرن الخامس الهجري . وبهذا تعددت أسباب السقوط و أثرت هذه الفاجعة والنكبة على المسلمين ،و جعلت ملوك الطوائف يستقضون من صفعة النصارى التي تجسدت في رغبة ألفونسو في استرجاع الجزيرة.

وتحصر الشعراء لسقوط طليطلة التي تميزت بالتحصين، وتنبئوا بمصير الأندلس خاصة وأن طليطلة تتوسط موقعها فقال أحدهم في ذلك:

حثوا خطاياكم عن أرض الأندلس

فما المقام بها إلا من الغلط

فالثوب تبل من أطرافه أترى

ثوب الجزيرة منسولا من الوسط[3]

من الملاحظ في هذه الأحداث والوقائع، أن الفونسو السادس عمل على استغلال حالة الضعف والفوضى السياسية لطليطلة، وقام بإشعال فتيل الحرب الأهلية فيها، وتحويل سهام المسلمين وحربهم نحو رقاب

[1]– مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ،ص39.

[2]– ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج2،ص94.

[3]– المقري، المصدر السابق، مج4، ص352.

إخوانهم المسلمين بدل أعدائهم النصارى مستغلا في ذلك كل حالة ضعف وانشقاق في المملكة، وضعف شخصية وسياسة القادر في تسيير مملكته وإغراقه في وحل التبعية له ليتسنى له ويسهل السيطرة عليه، وانتزاع أراضيه تدريجيا، وهكذا زالت هيبة المسلمين في نفوس أعدائهم في ذلك العصر.

**2 – مصير القادر بالله بعد سقوط طليطلة :**

بعد أن سقطت مدينة طليطلة في يد ألفونسو السادس غادرها القادر و أهله مع كبار أشراف المدينة ،فاستقر بهم الأمر إلى مدينة قونكة بعدما رفضت باقي الحصون والمعاقل الإسلامية استقبالهم وإيوائهم ،فصور لنا ابن بسام حال القادر في قوله :" وخرج ابن ذي النون خائبا مما تمناه ،شرقا بعقبى ما جناه و الأرض تضج من مقامه وتستأذن في انتقامه والسماء تود لو لم تطلع نجما إلا كدرته عليه حتفا مبيدا ، ولم تنشئ عارضا إلا مطرته عذبا فيه شديدا واستقر بمحلة ألفونسو مغفور الذمة ، مذال الحرمة ليس دونه باب و لا دون حرمة ستر و لا حجاب ،حدثني من رآه يومئذ بتلك الحال وبيده إسطرلاب يرصد فيه أي وقت يرحل ،وعلى أي شيء يعول وأي سبيل يتمثل ،وقد طاف به النصارى والمسلمون ، أولئك يضحكون من فعله وهؤلاء يتعجبون من جهله ".[1]

ومن مدينة قونكة راسل القادر أهل بلنسية ، وعرض عليهم قضية مدعيا أنه صاحب المدينة وله الحق في حكمهابكونها كانت سابقا تحت طاعته ، فاختلف أهل المدينة في طلب القادر وكثر الجدال بين موافق ومعارض لذلك ،وبهذا التباين قرر القادر انتهاز فرصته ،فسار إلى المدينة بحماية سرية من جيش ألفونسو ، بقيادة أحد كبار قادته ،فوصل إليها وحاصرها فبادر أهلها على خلع حاكمهم أو عمر عثمان بن عبد العزيز الذي حكمها مدة تسعة أشهر لا غير ، وسلموا المدينة له وذلك خوفا من الحصار وبطش جنود ألفونسو ،فنزلها القادر سنة (478هـ-1086م).[2]

فبدأ حكم بني ذي النون مرة أخرى بتغير المكان وذلك ببلنسية ، والظاهر أنها لم تكن سوى دولة هشة تدين بوجودها إلى الملك ألفونسو السادس ، الذي خطط لذلك بفرض سيطرته عليها فيما بعد ، ولم يطل أمر القادر ببلنسية فثار عليه قاضي المدينة أبو جعفر بن حجاف، بسبب جمعه المال من الرعية لتسديد ما طلبه منه ألفونسو ،وخوفا من فعل ما فعله بطليطلة ،فوقع بيده وأمر بقتله وتولى ذلك فتى من بني الحديدي انتقاما لأبي

[1]– ابن بسام ، المصدر السابق ،ق4، ج1،ص167.

[2]– ابن سعيد ،المصدر السابق ، ج2؛ ص300.

بكر بن الحديدي ،فقطع رأسه وطاف به في مدينة بلنسية ،أما جثته فقد رماها في سبخة حتى دفنت من قبل رجل احتسابا وذلك سنة (485هـ- 1092م) [1]

وهكذا زال حكم بني ذي النون في طليطلة و بلنسية على حد سواء وذلك لسوء تخطيط القادر بالله و خطأه في الأخذ برأي من كان حوله في قضية قتل ابن الحديدي الذي أوصاه به جده المأمون في ملازمته ومشورته فبذلك غاب عنه المدبر وعاث في حكمه فسار في طريق الغدر والخديعة الذي كان مخطط لها من قبل مناهضيه .

## 3-موقف ملوك الطوائف من سقوط طليطلة :

كان موقف ملوك الطوائف مخزيا بعد سقوط طليطلة ،وذلك بعد استدراكهم ان خطة ألفونسو هي القضاء و الإستلاء على شبه الجزيرة بإنهاء الحكم الإسلامي فيها ،فأدركوا بذلك نتيجة تقاعسهم في مساندة طليطلة طوال خمس سنوات منذ عام (472هـ-1079م) وقت عبث ألفونسو بنواحيها فسادا وخرابا وقتلا ،وهم منشغلين بأنفسهم بضم مملكة كل واحد منهم على حساب مملكة الأخر تحت يده ،وعند ضربه حصارا لها في خريف (477هـ- 1084م) لم يكتفوا بالتخاذل والإحجامعن نصرة إخوانهم ،بل تواطئوا مع ملك قشتالة وزودوه بالمؤن عندما انقطعت عنه الإمدادات وقدموا له الجزية طمعا في صرف النظر عنهم و إبقائهم على دولهم . [2]

والأمر في ذلك بعد سقوط المدينة تهافت ملوك الطوائف في تهنئة ألفونسو بنصره معلنين بأن أنفسهم وأموالهم مفدين له ،وأنهم ليسوا تابعين إلا لسلطانه ،فور في إحدى المصادر أن أحد ملوك الطوائف قدم هدية فاخرة لألفونسو بذلك ،فرد عليه الهدية بقرد ،فرأى ذلك الأمير في تلك الهدية جنته ، وصار يفتخر بها معتقدا منه أنه كسب رضاه وبلاده أصبحت في مأمن من بطشه .[3]

أما صاحب طليطلة الجديد ما لبث أن ثبت حكمه عليها حتى كشف عن نواياه اتجاه الممالك الأخرى فأعلن أنه لم يكتف بطليطلة ،وسيواصل الحرب حتى استلائه على الأندلس قاطبة ،وسارع في مراسلة ملوك الطوائف ،وتحذيرهم من مثل مصير طليطلة ،وأن يسلموه ما أراد من حصون وقلاع التي بحوزتهم ،واستخف بهم

[1]- ابن خلدون ،المصدر السابق ، ج4، ص208.

[2]- ابن بسام ،المصدر السابق ،ق4،مج 1،ص164-166.

[3]- ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص88.

وبقوتهم ،وهذا ما لخصه رده على رسول المعتمد بن عباد في قوله :" كيف اترك قوما مجانين ،تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وكل ،واحد فيهم لا يسل في الذب عن نفسه سيفا ولا يرفع عن رعيته ضيما ولا حيفا ".[1]

وهذا ما جعل ملوك الطوائف يتركون خلافاتهم جانبا ويوجهون أنضارهم إلى إخوانهم المرابطين لنصرتهم ودليل ذلك تصريح ابن الكردبوس حين قال :" ولما تيقن كل ثار ،ورأس ولاسيما رؤساء غرب الأندلس كابن العباد وابن الأفطس ،مذهب ألفنش فيهم ،وأنه لا ينفع منهم بجزيته ولا هدية ،رأوا أن الرجوع إلى الحق أحق فاستصرخوا بالمرابطين ،واستنصروا بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين " .[2]

أما موقف العامة من سقوط المدينة فكان له وقعه على نفسيتهم باختلاف فئاتهم و طبقاتهم، الأمر الذي جعلهم يستفيقون من سباتهم ليرفعوا صوتهم في وجه حكامهم الذين اهتموا بمصالحهم ،كما تزعم الفقهاء والعلماء في الاندلس ،حركة استنهاض المرابطين في المغرب لنجدتهم بحكم موقع طليطلة المتوسط لبلاد الأندلس الذي سيشكل خطرا عن الحكم الإسلامي بها ،فبدأت الاستعدادات لمواجهة النصارى بعدد من المسلمين تحت راية يوسف بن تاشفين فبلغ تعدادهم قرابة أربعة وعشرون ألفا .[3]

إجمالا أدرك ملوك الطوائف حجم خطيئتهم ،بإسدال ألفونسو الستار عن خطته ،وأيقنوا أن الدائرة عليهم ،فانتهجوا طلب العون من المرابطين لإنقاذهم من قبضة ألفونسو ،كما اتضح أن سقوط طليطلة في يدي النصارى كان نكبة إسلامية في العصور الوسطى ،ومرحلة جديدة لبداية قوية لحركة الاسترداد المسيحي في الأندلس ،لكن الاستنجاد بيوسف بن تاشفين كان قد عمل على إيقاف هذه الحركة ولو لحين .

[1]- ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص89.

[2]- ابن بسام ،المصدر السابق ،ص90.

[3]- مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ، ص456.

## المبحث الثالث : طليطلة معبر حضاري

**المطلب الأول : الأوضاع الاجتماعية**

**المطلب الثاني : الأحوال الثقافية**

**المطلب الثالث : المجالات العمرانية**

## المبحث الثالث: طليطلة معبر الحضاري

بعد أن دب الضعف في أوساط مدينة طليطلة، تم الاستيلاء عليها نتيجة خطة ألفونسو السادس، وتقاعس أمراء وملوك الطوائف في محاولة استعادتها للحكم الإسلامي، فكان لسقوطها عام(478هـ/1085)، وقعا قويا في نفوس المسلمين والمسحيين على حد سواء، وذلك من خلال الأثر الواضح في العالمين الإسلامي والمسيحي، حيث عمل النصارى على استرجع معاقلهم وأمجادهم في المدينة، واسترجاع الأسقفية بها، وعدّ سقوطها واحدة من المآسي الكبرى في تاريخ المسلمين، لأن سقوطها لم يكن عجزا في المقاومة أو ضعف في الدفاع، وإنما لسقوط قيم النجدة والإغاثة وبذلك تلاشي دولة من دول الطوائف، وهذا ما شجع ألفونسو السادس في محاولة التهام الحواضر الإسلامية الواحدة تلوى الأخرى.

و توالت غزواته وبهذا أدرك ملوك الطوائف عواقب تقاعسهم من صد الهجوم ضد طليطلة، فأيقض إدراكهم لذلك حركة الجهاد الإسلامي التي طال نسيانها بالأندلس، بحيث تمثلت في الجهاد الإسلامي الذي قاده المرابطين والموحدين التي هدفت إلى توحيد المسلمين ومحاولة استعادة طليطلة على اثر الاستنجاد الذي طلبه بعض ملوك الطوائف من يوسف بن تاشفين، الذي استجاب لعدة محاولات[1] منها:

ـ عبور الأندلس سنة(479هـ/ 1086م)، على رأس جيش تجاوز العشرين ألف، وتمكن بما انضم إليه من القوات المسلمة في الأندلس بإلحاق الهزيمة بألفونسو وذلك في معركة الزلاقة[2].

ـ الجواز الثاني ليوسف بن تاشفين في (483هـ/ 1090) حيث تم في هذه المحاولة محاصرة طليطلة واكتساح أطرافها وتخريب عمرانها. عمل أيضا على الوصول إلى طليطلة سنة(503هـ/1109)، وإقامة الحرب عليها رغبة في استرجاعها[3].

من النتائج التي عقبت سقوط طليطلة بالنسبة إلى النصارى هي اتخاذ ألفونسو السادس لقب الإمبراطور، حيث سمى نفسه سيد الملتين أي الملة النصرانية و الإسلامية[4].

[1]-نظر الملحق رقم 10،ص89

[2]- المؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص56-62.

[3]- ابن الآبار ، الحيلة السيراء، ج1، المصدر السابق، ص90-91

[4]- ابن الكرديوس، المصدر السابق، م12، ص94-95.

كما عهد على إبراز نفسه كصاحب الكلمة الأولى في شبه الجزيرة الأيبيرية ، والرجل الأول الذي يتحكم بالنصارى والمسلمين في الأندلس، ورفضه وضع التاج كملك القوط قبل الفتح إلا أن يتم استيلاؤه على قرطبة التي كانت الرمز الوحيد للمسلمين[1].

ومن آثار سقوط طليطلة على المسلمين هو اقتراب الخطر الصليبي من الأجزاء الخلفية من الأندلس التي كانت خطوط حدودية مواجهة للممالك النصرانية، وبهذا تحولت طليطلة من مدينة متضامة لصد هجوم النصارى على الممالك الأخرى، إلى خطر محدق في وسط الجسد الأندلسي بسبب موقعها المتوسط لدول الطوائف والممالك النصرانية في شبه الجزيرة الإيبرية[2]. الذي نتج عن معركة زلاقة أيضا أوقف التقدم النصراني نحو الأندلس لعقد من الزمن، وهذا يبرز إفشال مخططات النصارى الاستيلاء على بعض المدن الأخرى كسرقسطة وطرطوشة وبلنسية التي على وشك السقوط لولا قدوم المرابطين[3].

بالرغم من هذه المحاولات لم يتمكن المسلمين من استرجاع طليطلة التي استمر عطاؤها من عام (92هـ/711م) إلى غاية (478هـ/ 1085م) بدورها البارز في كل الجوانب السياسة والحضارية. ومن هذا المنطلق يتضح لنا أن طليطلة كانت محل صراع للحضارة الإسلامية والنصرانية فتعددت مظاهرها على الجانبين وتأثرت بذلك كل من المظاهر الاجتماعية ،الثقافية ،والعمرانية .

**المطلب الأول: الأوضاع الاجتماعية**

تعددت العناصر البشرية في الأندلس للمجتمع الإسلامي في إقليم طليطلة ، وتمازجت وتعايشت مع بعضها في ظل الحكم الإسلامي وفق حقوق أقرتها الشريعة الإسلامية التي تضمنت حرية المعتقد وممارسة النشاطات المختلفة، وسماحة الديانة الإسلامية جعلت من النصارى واليهود جزءا مهما من المجتمع الطليطلي، فأقاموا العلاقات معهم مما شجعهم على الانفتاح على الثقافة الإسلامية وعادات وتقاليد مجتمعها وبذلك كانت مساهمتهم ومشاركتهم في بناء الحضارة الإسلامية ومن مظاهر ذلك:

[1]- ابن بسام، الذخيرة ، المصدر السابق، ص168.

[2]- الإدريسي، المصدر السابق، ص179.

[3]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور ،الرباط ، 1972م،ص145-146.

1/– **اللّغة:** كانت اللغة السائدة بالأندلس قبل قدوم المسلمين هي اللغة اللاتينية وبعد دخول المسلمين حصل تمازج بين اللغة العربية واللاتينية مما عمل التمازج بينهما إنتاج اللغة المحلية تسمى العجمية وهي اللغة المشتركة بين تركيبات المجتمع الأندلسي.[1] ومن مظاهر التأثير المتبادل بين المسلمين والذميين في الجانب اللغوي ظاهرة المستعربين وذلك بسبب التعميق في اللغة العربية ، حيث أطلق مصطلح المستعربين على النصارى الذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية، حيث احتفظوا بديانتهم المسيحية واستعربوا في ثقافتهم حتى كاد العنصر النصراني أن يتلاشى.

وكان اسم المستعربين شائعا في الكتابات اللاتينية و القشتالية في إقليم الأندلس خاصة بعد استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة سنة(478هـ/ 1085م)[2]. ويذكر ليفي بروفينسال في كتابه "تاريخ اسبانيا الإسلامية أن مستعرب طليطلة حتى النصف الثاني من القرن الحادي عشر يتمتعون باستقلالهم الذاتي ويمارسون شعائرهم الدينية ويطبقون قوانينهم القوطية مثلما حدث في قرطبة أثناء الحكم الإسلامي[3]، حيث كان المبدأ السائد هو ترك المسحيين المنهزمين يمارسون شعائرهم ويرتادون كنائسهم المقامة داخل المدينة، ومع هذا لم يصرح لهم بإقامة كنائس جديدة في المناطق الريفية[4].

وبتأثر النصارى بالعرب بلغ الاستعراب درجة كبيرة، حتى أصبح النصارى يختنون أولادهم، ويطبقون نظام الحريم في بيوتهم، كما اضطر رجال الكنيسة إلى ترجمة صلواتهم إلى العربية حتى يفهمها النصارى، وبلغ تعايش المسلمين مع المسحيين إلى إتقان اللغة العربية لدرجة أنهم فاقوا العرب أنفسهم،في بعض أغراضها في حين يجهلون لغاتهم كتابيا جهلا يكادوا يكون تاما، وكانوا يقبلون على تعلم العربية بشغف واهتمام[5].

و من المؤكد أن نصارى الأندلس تعربوا بالكامل وهذا ما أكدت عليه المصادر منها ابن سعيد عندما ذكر أن "أهل الأندلس يحافظون عل قوام اللسان العربي لأنهم إما عرب أو متعربون".[6]

---

[1]–بلانثيا أنخل جانثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، تر :حسين مؤنس مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م، ص142.

[2]– عبد القادر عثمان مُحَمَّد: المستعربون في عصر ملوك الطوائف، مجمل التاريخ العربي،الرباط، المملكة العربية، العدد 25، 2003، ص236.

[3]– ليفي بروفنسال: تاريخ اسبانيا الإسلامية، تر2، عبد الرؤوف اليمي وآخرون، الهيئة العامة لشؤون المطابع، جدة، 2000، ص83.

[4]– نفس المرجع ،ص84

[5]– رجب مُحَمَّد عبد العليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية ، وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، دار الكتب المصري ، القاهرة، دار الكتب اللبناني، بيروت، د ت، ص70.

[6]– المقري، المصدر السابق، ج1، ص125.

و لم تكن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة المستعملة في الأندلس، فقد تأثر المسلمون أيضا باللغة اللاتينية، وهذا ما عمل على بروز نسق جديد في مفردات عربية مطعمة بالأيبيرية سميت بعجمية أهل الأندلس، فعملت على الثبات والاستقرار الذي أبرزت ملامحه في المجتمع وهذا مما ميز الاتصال القائم في الحياة اليومية.[1]

ومن بعض المصطلحات العربية التي وجدت ضمن اللغة اللاتينية نجد القطن ومرادفه باللاتينية cotton ،والزيت بaceite،والياسمين jasmin[2]، وهناك العديد من المصطلحات العلمية أيضا التي استخدمت في اللاتينية لعدم معرفتها مثل : الإكسير Elixir.[3]

من خلال هذا يظهر بأن التمازج والتجانس بين النصارى والمسلمين كان واضحا في معاملتهم وظاهرة ازدواج اللغة أمرا شائعا بفعل الاحتكاك والاختلاط وتعلم النصارى اللغة العربية بدافع التطور والانتهال من العلوم واعتلاء مناصب الإدارة في ظل الحكم الإسلامي.

**2/- الزواج:**

كان للنصارى مكانة هامة في الأندلس لانفتاحهم على غيرهم ودورهم في إقامة جسور الاتصال مع المسلمين وذلك من خلال الاحتكاك والاختلاط حيث توجت هذه العلاقات بالمصاهرة، وهو ماساهم في امتزاج العادات والتقاليد الاجتماعية بين فئات المجتمع.

وتعتبر المصاهرة بين المسلمين والنصارى من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية، وهذا منذ دخول المسلمين إلى أراضي النصارى،أي منذ عهد الولاة ، إذ أن الدين الإسلامي لا يمنع ذلك،[4]فأصبح الزواج من النصرانيات تقليدا شائعا، واشتهر الحكام الأمويين باتخاذ النصرانيات أمهات لأولادهم مما أفقدهم نقاوتهم العرقية.[5]

---

[1]- ليفي بروفينسال ،المرجع السابق، ص284.

[2]_ نفس المرجع ،ص96

[3]_ عز الدين فراج ، فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2002م،ص96

[4]- ابن قيم الجوزية:، شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، تحقيق صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1994، ق2، ص419.

[5]- ابن حزم : طوق الهام من الآلفة والآلاف ، قدم له وضبطه صلاح الدين الهواري، دار البحار، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2006، ص48.

كان الزواج الشائع في تلك الفترة هو زواج المسلمين من النصارى، بالرغم من تسجيل المسلمات من النصارى إذا تزوج ألفونسو السادس ملك قشتالة كنة المعتمد عباد صاحب اشبيلية[1]. و من خلال تلك المصاهرة ظهر جيل جديد من الأبناء عرف باسم المولودون الذين شكلوا بمرور الزمن جزءا هاما من سكان الأندلس.

و لكن ظهورهم كفئة اجتماعية في عصر ملوك الطوائف تقلص إلى حد كبير، وساهم انتمائهم للدين الإسلامي واندماجهم في الحياة الاجتماعية مما أبطل لديهم مفهوم الطائفة.[2]

**3/– الأعياد:**

نتيجة للتمازج والاختلاط في الأنساب بين المسلمين والنصارى في إطار التزاوج بينهم انسجمت العادات والتقاليد أيضا، حيث أصبح المسلمون يحتفلون بأعياد النصارى ومشاركتهم في مواسمهم الدينية بتبادل الهدايا معهم، ومن بين هذه الأعياد نذكر:

_**عيد الفصح**: الذي يعد من أهم الأعياد لدى النصارى الذين يسمونه بعيد خمسة أبريل أو خميس العهد وفيه يشترون الأجبان والإسفنج[3].

_ **عيد العنصرة**: ويسميه الأندلسيون المهرجان ، ويكون في الرابع والعشرين من يونيو[4].

_ **عيد البشارة** : يحتفل به النصارى يوم الخامس والعشرون من شهر مارس لاعتقادهم أن جبريل عليه السلام بشر فيه مريم بميلاد المسيح عيسى عليه السلام ،حيث كانوا يطبقون في هذا اليوم بعض العادات مثل الامتناع عن إقامة مراسيم الزواج .[5]

[1]– سحر السيد عبد العزيز سالم: الجوانب الاجتماعية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس والغرب المسيحي والغرب الإسلامي خلال القرون الوسطى، تنسيق مُحَمَّد هام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَمَّد الخامس، الرباط ن ط1995،1، ص376.

[2]_ نفس المرجع ،ص48

[3]– الطرطوشي، المصدر السابق، ص117.

[4]– المقري المصدر السابق، ج3، ص128.

[5]_ محي الدين صفي الدين ،المرجع السابق ،ص 55

_**عيد ميلاد المسيح عليه السلام**: ويحتفل النصارى بهذا العيد في اليوم الخامس والعشرون من يوم الخامس والعشرون من شهر ديسمبر، وهو من الأعياد المعظمة عندهم حيث يتبادلون فيه الهدايا وخاصة المأكولات و الحلوى.[1]

_ **عيد العصير** : وهو من الأعياد الموسمية التي يحتفل بها النصارى وكان ذلك في الخريف عند جني العنب ،حيث كان الناس يخرجون مع عائلاتهم إلى الحقول والبساتين ،ويرتدون أحلى الملابس عندهم ،ويصحبون معهم أصنافا من المأكولات .[2]

كما كان للنصارى أعياد أخرى يحتفلون بمناسبتها ببعض القديسين وذلك تيمنا لبركاتهم وتمتع النصارى بالحرية في احتفالاتهم من دون مراقبة أو تضيق من السلطة الإسلامية ، و على هذا فإن تقبل النصارى للمسلمين والانسجام معهم في العديد من المظاهر الاجتماعية جعل المجتمع المسيحي يذوب في المجتمع الإسلامي، واحتكاك المسلمين بتقاليد وأعياد المسحيين أظهر منه الفقهاء سخطا والتصريح بعدم جواز ذلك لما له من خلفيات أخرى.

**4/– الدّين:**

كان الدين الإسلامي في طليطلة هو الهوية الممثلة لسكانها في ظل الحكم الإسلامي، لكن بعد سقوطها في أيدي النصارى، أفلت شمس الإسلام بها، وذلك بسبب تراجع الإسلام منها وتناقص عدد المسلمين نتيجة لهجرتهم وتنصر البعض منهم من جهة، وقدوم أعداد من النصارى من الشمال إليها من جهة أخرى واستيطانهم بها كون عودتها مركزا للمسيحية[3].

وبما أن طليطلة كانت عاصمة لآخر دولة مسيحية في الأندلس عند وصول المسلمين إليها عند الفتح الإسلامي وبوجود المراكز المسيحية الكبرى فيها، كونها محور الأسقفيات النصرانية، فبعد استرجاعها عمد النصارى على إعادة مكانتها الدينية باعتبار أن أسقفها المطراني أصح يمثل الرجل الأول وصاحب السيادة على الكنيسة النصرانية في شبه الجزيرة الإيبيرية[4].

---

[1]– دندش عصمت عبد اللطيف ، المرجع السابق ، ص189

[2]–نفس المرجع ،ص189

[3]- أشياخ يوسف،المرجع السابق، ص60.

[4]- ابن بسام: المصدر السابق، ق4، م1، ص166.

فأصبحت طليطلة نصرانية في قيادتها السياسية والعسكرية وحتى كثافتها السكانية فأصبحت الديانة الأولى بها النصرانية على المذهب الكاثوليكي، فعاد بذلك ارتباطها بروما وانقطاع ارتباطها بالمشرق الإسلامي الممثل في المدينة ومكة، ومن أبرز مظاهر ذلك هو تحويل معالمها الإسلامية إلى معابد نصرانية منها تحويل المسجد الجامع إلى كنيسة.[1]

وبهذا نستنتج أن الإسلام بطليطلة بعد سقوطها كان في طريق الزوال منها واضمحلاله عبر الزمن، لمحاولة النصارى طمس وتهميش كل ما هو إسلامي واستبداله بالديانة المسيحية وتعميمها على الأقاليم الأخرى.

و ذلك باسترجاع سيطرتهم على المناطق التي كان فيها الحكم الإسلامي، نكاية بالمسلمين ومحاولة الوصول إلى معارفهم والتفوق عليها أي تغليب الديانة المسيحية على الديانة الإسلامية.

**المطلب الثاني: المجال الثقافي**

على الرغم من الآثار السلبية التي عرفها المسلمون بعد سقوط طليطلة، إلا أنه كان جانبها المضيء في المجال الثقافي، فمن الآثار نتائج ذلك انتقال الحضارة الأندلسية إلى المغرب الإسلامي والعالم المسيحي.

كما نفذت الحضارة الإسلامية إلى الممالك النصرانية في شبه الجزيرة الأيبيرية بعد استيلائهم على مدينة طليطلة، وهذا ما أدى إلى امتزاج الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية ، وكان الاقتباس من الحضارة الإسلامية واضح في شتى العلوم والمعارف وحتى الصناعات[2]. وشكل لهذا الغرض مجموعة متخصصة لترجمة العلوم الإسلامية من العربية إلى الإسلامية إلى اللاتينية، فمكثوا في طليطلة بصفة خاصة لإنجاز هذا الغرض، وهذا ما برزت نتائجه بشكل واضح بعد قرنين من سقوطها بأيدي مملكة قشتالة[3].

**1/ دور الحكام والملوك في الحياة الثقافية**

أبدى المسلمون في الأندلس اهتماما متزايدا في بناء حضارتهم، وعملوا ا على تشجيع حركة التعريب من وإلى لغات أخرى، فعملوا على الانفتاح على علوم الغير والعمل على تلاحقها مع الحضارة الإسلامية فكان لحركة

[1]- ابن بسام المصدر السابق، ق4، م1، ص166.
[2]- المقري، المصدر السابق، ج4، ص77.
[3]- ليفي بروفيسال، المرجع السابق، ص96.

التعريب دورا بارزا في هذا الجانب، فقد ترجم عدد هائل من الكتب العربية والمؤلفات التراثية إلى اللاتينية، وكان لحكام الأندلس دورا مهما في توسيع حركة التعريب التي كانت على نطاق ضيق ومن هؤلاء: عبد الرحمان الثاني[1] الذي اهتم بعلم الفلك والتنجيم وعمل على جلب العلماء إلى بلاطه وأرسل العالم عباس بن ناصح القرطبي إلى بغداد ليبحث له عن المؤلفات العلمية اليونانية والفارسية التي ترجمت إلى اللغة العربية، والعمل على نسخها، كما كان مهتما بالفلسفة القديمة والطب وعمل تخصيص رواتب عالية لعلماء الفلك، كما نجد أن الخليفة الحكم المستنصر[2]، اهتم بعلوم العرب فطلب كل من قاسم بن أصبغ البياني[3] وحفص ابن ألبر[4]، بالترجمة لكتاب التاريخ لهيروشيوش[5]، وكتاب ديسيوقرديس في الطب من اليونانية إلى اللاتينية، وعمل على مراسلة العلماء والمهتمين بذلك إلى مختلف البلدان والطلب منهم كتابة دراسات عن المناطق التي زاروها والاحتفاظ بهذه الدراسات في مكتبته الخاصة، ومن هذه الدراسات رحلة إبراهيم الطرطوشي[6].

كما اشتهر بنو ذي النون باهتمامهم بالعلم واللغة والشعر وعملوا على تطورها، ومن أمثال هؤلاء الحكام يحي بني ذي النون الذي عمل على جلب العلماء لبلاطه، ودعمهم بتخصيص رواتب لهم. كما اشتهر بنو هود في سرقسطة أيضا برعاية العلم كالأمير يوسف المؤتمن الذي ألف كتابا شاملا في الهندسة سماه الاستكمال، واعتمد على مقالة ثابت بن قرة في نظرية الأعداد المتآلفة وكتاب البصريات لابن هيثم[7].

[1]- عبد الرحمان الثاني: هو عبد لرحمان الأوسط بن الحكم الربضي بن هشام الرضي أمير الأندلس المحب للعلوم، ابن الآبار، التكملة ،ج1، المصدر السابق، ص226.

[2]- الحكم المنتصر: هو الحكم المنتصر بالله بن عبد الله بن عبد الرحمان الناصر لدين الله بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الرحمان الأوسط ، تولى الحكم بعد أبيه الناصر، ابن الآبار، المعجم في أصحاب القاضي الإمام الصدفي، مطابع روخسه، مجريط، 1885م، ص128.

[3]- قاسم ابن أصبغ البياني: هو الحافظ الإمام محدث الأندلس أبو مُحَمَّد القرطبي، مولى بني أمية من بيانة محلة بقرطبة، ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص332.

[4]- حفص بن ألبر: هو حفص بن البر القرطبي العالم المحدث، نفسه، ص334.

[5]- هيروشيوس: هو عالم ومؤلف كتاب تاريخ الأمم والملوك، مكتوب باللسان اللاتيني، ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص192.

[6]- هو إبراهيم الطرطوشي : من مدينة طرطوسة الأندلسية من أصل يهودي، زار العديد من المدن، هيكل أحمد، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ط7، دار المعارف، مصر، 1993، ص193.

[7]- بيرنيت، تشارلز، حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى في اسبانيا، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، ج2، بيروت، 1999، ص1350.

كما أشرنا سابقا عن دور المستعربين في نقل الحضارة الأندلسية وثقافتها إلى العالم المسيحي، فكانت بذلك طليطلة معبر حضاري على غرار صقلية، ومن إحدى الوسائل الفعالة التي تم من خلالها نقل المعارف إلى أوربا من الأندلس، الترجمة التي شهدت عناية في هذه الفترة[1].

وقد كان الاهتمام بالتراث الإسلامي في تلك الفترة أيضا واضحا وجليا في القصور و بلاطات النصارى ومن بين أهم هذه البلاطات ،بلاط طليطلة على عهد ملك قشتالة ألفونسو العاشر ،فقد جمع في بلاطه نفر من العلماء المسلمين والنصارى وحتى اليهود الذين اجتهدوا بدورهم في نقل وترجمة معظم المعارف الإسلامية ،وقدموها للقراء باللغة اللاتينية و القشتالية.[2]

كما ساهمت أيضا بلاطات نصرانية أخرى في عملية الترجمة من اللغة العربية إلى اللاتينية ومثال ذلك بلاط برشلونة [3]،كما ساهم العلماء ورجال الدين الذين عاشوا وشاركوا الحياة العلمية والفكرية برعاية الخلفاء و الأمراء أمثال المستعرب الأسقف ربيع بن زيد الذي كان قاضي النصارى بقرطبة ،ومترجما بقصر الحكم المستنصر [4].

ولقد كان رجال الكنيسة واعون بأهمية ومكانة العلوم أيضا فاهتموا بذلك أكثر من بقية المجتمع المسيحي لأنهم احتكروا المعرفة و اقتصروها على أنفسهم ،فكانوا السباقين في تحصيل المعارف الإسلامية ، وبهذا كان للحكام والأمراء المسلمين أو غيرهم دور في دعم العلوم والمعارف في طليطلة بصفة خاصة والأندلس بصفة عامة .

## 2/ عوامل بروز الترجمة وتطورها:

بدأت عملية الترجمة في الأندلس أواسط المائة الثالثة من الهجرة في العاصمة قرطبة، وكان لبروزها عوامل عدة ساعدت في نموها وتبلورها ومن بين هذه العوامل نجد:

**1/ التسامح الديني:** بعد دخول الإسلام إلى الأندلس تعايش المسلمون وغيرهم من الأجناس الأخرى في المجتمع الواحد و هذا ما فسح المجال للنصارى للاستفادة من علماء المسلمين ومؤلفاتهم. وبهذا ظهرت حركة

[1]- ليفي بروفينسال، المرجع السابق، ص97.

[2]_ حسن الوراكي ،ياقوتة الأندلس ،دراسات في التراث الغرب الإسلامي ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1994 ،ص 17

[3]_ برشلونة : مدينة الروم ،تقع على البحر ،ومرساها ترش لا تدخله المراكب إلا عن معرفة ،ولها ربض وعليه سور منيع ،ويسكن المدين ملك الإفرنجية وهي دار ملكهم ، وهي في القسم الثالث من الأندلس ،أنظر الحميري ،المصدر السابق ،ص339

[4]_ حسن الوراكي ،المرجع السابق ، ص18

الاستعراب وظهور المستعربين، حيث كان التسامح الغوي والديني هو السمة الغالبة[1]،كما يجدر بنا الذكر أن هذه الخاصية كانت صفة الحضارة الإسلامية، على غرار المسلمين وحكامهم المنفتحين على غيرهم من الشعوب واختلاط المسلمين بالنصارى الذين قدموا إلى البلدان الإسلامية بصفة عامة والأندلس بصفة خاصة لتلقي العلوم في حواضرها المزدهرة[2].

**2/– الدافع الصليبي:**

ويقصد به الحركة التي سميت بحروب الاسترداد التي كان الهدف منها إنهاء الوجود الإسلامي بالأندلس وتحقيق ذلك لم يكن هينا بالجانب العسكري فقط بل عمد أيضا على الإطلاع على كل المعرف والعلوم ذات الصلة بالمسلمين وذلك لمعرفة نقاط القوة والضعف لديهم[3].

**3/– اللّغة:** مما لا ريب فيه أن الدراية باللغات الأساسية هو الركن الأساسي في عملية الترجمة، وكانت اللغة العربية هي التي تسابق على تعليمها اليهود والنصارى كونها لغة الحضارة في تلك الحقبة وهذا ما ذكرناه سابقا، كما عمد على دعمه حكام النصارى بحثّ شبابهم على تعلم اللغة العربية[4].

و تبلور الوعي لدى طوائف من النصارى سواء الذين كانوا يعيشون في ظل الحكم الإسلامي ناو أولائك الذين أقاموا في المناطق الشمالية من الجزيرة أو الذين كانوا يترددون على حواضرها من أقطار الغرب اللاتيني ،ومن أهم الفئات التي أدركت أهمية المعارف العربية ،الملوك والأمراء والعلماء ورجال الدين .[5]

**4/–دراية النصارى بأهمية التقدم الحضاري الإسلامي في الأندلس:** وبذلك تحفيزهم لترجمة ما أنتجه المسلمين في العلوم المختلفة[6].

[1]– شاخت وبوزوت، تراث الإسلام، ج1، تر :حسين نؤنس وآخرون، الكويت، 1978، ص180.

[2]– عبد اللطيف البدري، الطب عند العرب، بغداد، 1978، ص98.

[3]– تشارلز برينت، حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى في اسبانيا، مقالة مشتركة من كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير سلمى الجيوسي، بيروت، 1998، ص1442.

[4]– ليفي بروفينسال، المرجع السابق، ص101.

[5]_حسن الوراكلي ، المرجع السابق ، ص16

[6]– حكمت نجيب عبد الرحمان : دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، الموصل، 1977م، ص26-27.

فكانت هذه العوامل مساهمة في نمو حركة الترجمة وازدهارها في الأندلس، التي بدأت بالرحلات العلمية المتبادلة بين المشارق و الأندلس، فعملوا على نقل المصنفات وترجمتها ومن بين الكتب التي حملوها كتب أبو قراط و جالينوس[1]، لكن للمرحلة الأولى للترجمة كانت تهتم بالتراث اليوناني القديم وجلبه من قبل الوافدين المشارقة، مما أتاح لهم الإطلاع على معارف القدماء، فبرزت بذلك ثلاثة مراكز في الأندلس وصقلية وبغداد، لكن الأندلس أشهرها[2] .

ومن الأسباب الرئيسية أيضا للازدهار الترجمة هو **السيطرة الأوربية على أهم المدن الأندلسية** :حيث كان ذلك مع بداية القرن الخامس هجري فسقوط طليطلة سنة ( 478هـ/ 1085م)، النصارى جعلها من المدن المتميزة على الحدوديين دول العرب في الأندلس والممالك الاسبانية وأوربيا، وامتازت هذه المدينة بكثرة مكاتبها حيث انتقلت إليها آلاف المجلدات التي نقلت فيها كتب العرب اللاتينية[3].

كما سهل سقوط طليطلة بأيدي النصارى سيطرتهم على الكنوز العلمية التي ألفها المسلمون فساعدهم على الإطلاع بالمعارف الإسلامية في شتى مجالاتها[4].

### 1 _ مدرسة المترجمين بطليطلة:

من الوسائل التي عملت على نقل الحضارة العربية من الأندلس إلى أوروبا، والتي كانت لها أهمية بالغة في تلك الحقبة هي الكتب العلمية و مدارس الترجمة ،ومن هذه المدارس مدرسة الترجمة في مدينة طليطلة ،والتي أسهمت بنقل الثقافة الإسلامية بكل ما احتوته من عناصر ومعارف اليونان القديمة حيث نشأة هذه المدرسة عبر مراحل تاريخية مكونة معارف مهمة بالنسبة للعالمين المسيحي والإسلامي .

بعد سقوط طليطلة في يدي النصارى بقيادة الملك ألفونسو السادس في سنة (478هـ/ 1085م)، أصبحت من المراكز العلمية المهمة في الأندلس ومعبرا حضاريا للأقاليم المجاورة لها من الدول المسيحية والإسلامية،

[1]- ابن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، نشر واعتناء لويس شيخو المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912م، ص478.

[2]- هدى بنت جير السفيا، الترجمة من العربية إلى اللاتينية، نشأتها وتطورها وأثرها في أوربا من منتصف القرن (5هـ/11م)، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1433هـ، ص249.

[3]- خليل إبراهيم، عبد الواحد دنون، المرجع السابق، ص479.

[4]- حسن الوراكلي، المرجع السابق ، ص18.

إذ قام ملكها ألفونسو السادس بإنشاء " **معهد المترجمين الطليطلين**" الذي ضاع صيته في أوربا عندما لجأ إليه العلماء المسحيين والأندلسيين في عهد ألفونسو السابع[1].

و بعد حوالي نصف قرن من سقوط طليطلة في عهد ألفونسو السابع (1112-1157م)، عمل رئيس قساوسة المدينة ريموند (547هـ/ 1161م)، بعد تسلمه مهامه الدينية إلى إنشاء مدرسة للترجمة في طليطلة وذلك سنة (520هـ/ 1162م) وكان يرأسها بنفسه، وعهد على جلب علماء المسلمين والنصارى واليهود ليباشروا في ترجمة الكتب العلمية في مجال الرياضيات والفلك والطب[2].

و في هذه المرحلة من النشأة ظهرت الترجمات الأولى، والتي سميت بالترجمات الطليطلية الأولى، حيث تمثلت في الترجمات التي قام بها اليهودي بن داود المعروف بيحيى الاشبيلي.[3]كما شهدت هذه المرحلة ترجمة عدد من الكتب العلمية الخاصة بالفلك والرياضيات من قبل اديلارد الباثي،حوالي سنة (1080-1150).[4]

و لم يكن القائمين بالترجمة في البداية بدراية تامة باللغة العربية وهذا ما أجبرهم على الاستعانة بالمستعربين واليهود المقيمين بالمدينة فكانوا يترجمون النصوص العربية إلى الاسبانية العامة ثم يصيغونها مترجمو المدرسة إلى اللغة اللاتينية و القشتالية حتى اعتمدوا على نفسهم في ذلك[5].

كما تجسد دور المدرسة في إسهامها بنقل الحضارة الإسلامية بكل ما احتوته من عناصر ومعارف اليونان القديم إلى العالم المسيحي بالإضافة إلى ما معارف المسلمين، خاصة علماء المشرق الإسلامي، واشتهر علي صعيد هذه المدرسة العديد من المترجمين أمثال غونديسا لفو أحمد كبار اللاهوتيين في كتيدرائية طليطلة في الفترة مابين 1120م/1170م الذي قام بنقل كثير من المعارف الفلسفية إلى أوروبا.[6]

---

[1]- أنجل جنثالث بالنثيا، المصدر السابق، ص574.

[2]- حكيم أحمد هام بكر، حركة الترجمة في الأندلس ودورها في التقدم العلمي الأوروبي (6-8هـ/ 12-14م)، مجلة جامعة كركوك للدراسات الأندلسية، المجلد 13، العدد1، سنة 2018، ص07.

[3]- جمعة شيخة، الأندلس قرون من التقلبات و العطاءات، ندرة الأندلس الحضارة والعمران، والفنون ، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز ، الرياض، ط1، 1996م، ص133.

[4]- أدلار الباثي: (1080-1150) فيلسوف انجليزي كتب باللاتينية كان من أوائل المترجمين للمؤلفات العربية، وتأثر بالثقافة العربية الإسلامية في أوربا الغربية، في ترجمة لكتاب المحيطي المتخصص بالفلك لبطليموس، وكتاب الجداول الفلكية للخوارزمي ، أحمد عثمان، المنجز العربي الإسلامي في الترجمة، ص125.

[5]- حكمت الأوسي، المرجع السابق، ص42.

[6]_ محمد السوسي ، "العلوم العربية بالأندلس " ، بحث منشور ضمن كتاب ، الثقافة العربية الإسلامية عبر التاريخ ،دمشق ، 1990،ص522

**2_ نظامها وأبرز أعلامها :**

كان للنصارى دورا كبيرا في نشر العلوم والمعارف العربية إلى اللاتينية و القشتالية للاستفادة والتعرف على علمائها وعلومها، والدور الذي مارسه **ريموند الأول** في المدرسة بوضع نظام خاص بها، بشروط معينة للقيام بأعمال الترجمة منها:

_ اللغة و اختصاص المترجم لذلك ، حيث يعمل المترجمون في المدرسة على فريقين مسيحي ويهودي، ومن كانت له دراية باللغة العربية يقوم بترجمة النصوص شفويا إلى كل اللغات الرومانية القديمة، وبعد ذلك تنقل هذه الصيغة المترجمة إلى اللغة اللاتينية و القشتالية وتتم كتابتها[1].

و من أبرز المترجمين لهذا المعهد **روبرتالكتوني و أدلار البانثي**[2]، واليهوديان " **أبراهم بن عزرا**[3] **وأخوه**".[4]

والايطالي **جيراردو الكريموني**[5] **و دومينيكوس غندسيالفي**، وهو من رجال كنيسة طليطلة، وكذلك **يوحنا بنداود الأسباني** [6]، حيث عملت هاتين الشخصيتين على ترجمة عدة كتب عربية إلى اللغة اللاتينية من بينها كتب: **"النفس والطبيعة"لابن سينا، " مقاصد الفلاسفة"لأبي حامد الغزالي**.[7]

---

[1]- فليب، تاريخ العرب، تح :جبرائيل حيدر،ج2،بيروت ، 1950م، ص698.

[2]_أدلار البانثي :هو راهب انجليزي بندكتي من باث على نهر الافن نذاع صيته سنة 509هـ_1115م ولقب بالفيلسوف الإنجليزي ،من أهم ما ترجم إلى اللاتينية كتاب أصول إقليدس سنة 525هـ_1130 م،كان معلما للملك هنري الثاني قبل توليه الحكم ،اثر في ثقافة العرب ومذهبهم في العلم على مذهب الفرنجة .أنظر يحي مراد ، معجم أسماء المستشرقين ، دار الكتب العلمية ،بيروت، 2004،ص142

[3]_أبراهم بن عزرا : ناقل شهير ولد بطليطلة سنة 491هـ_1097م توفي بروما ترجم قبل وفاته للعبرية شرح بالمثنى بن عبد الكريم على زيج محمد بن موسى الخوارزمي ،واستخدم هذه الترجمة في علمه باللاتينية .أنظر جمعة شيخة ،المرجع السابق ، 135

[4]- لويس يونغ، العرب في أوربا، تر:ميشل أزرق، دار الطليعة، بيروت، 1979م، ص120.

[5]_جيرارد الكريموني : (1114م_ 1187م)ولد بمدينة كريمونا بإيطاليا ،درس الفلسفة ورحل إلى طليطلة ؛حيث تعلم العربية ،ترجم عدة كتب في الطب والفلسفة والفلك عن الأصول العربية منها : كتاب السماع الطبيعي لأرسطو وكتاب القانون لابن سينا ،وكتاب السيول لإسحاق بن سليمان الإسرائيلي ،وكتاب الأحداث الجوية لأرسطو نقلا عن ابن سينا ،وكتاب المنصوري للرازي ومقالة في الجدري والحصبة للرازي والقسم الجراحي من كتاب التصريف لأبي القاسم الزهراوي .جمعة شيخة ،المرجع السابق ،ص 130

[6]_ يوحنا ابن داود : مترجم من اللاتينية إلى العربية في القرن الثاني عشر اختلف حول هويته وموطنه والأرجح أنه يوحنا الأشبيلي،الذي تحول من الديانة اليهودية إلى النصرانية ،وكان اسمه العبراني شلومو أو سليمان ،وكان بن داود هذا يترجم من العربية إلى الاسبانية ليتولى بعد ذلك المترجم دومنجو غنصالفة الترجمة من اللغة الإسبانية إلى اللاتينية ،ترجم كتاب المدخل الكبير إلى علم أحكام النجوم لأبي معشر جعفر بن محمد ،ثم كتاب في الحركات السماوية وجوامع علم النجوم لأحمد بن محمد بن كثير الفرغاني وكتاب في النفس والطبيعة لابن سينا . أنظر عبد الرحمان بدوي ، المرجع السابق ،ص631

[7]- أنخل جنثالث بالينثيا، المصدر السابق، ص537.

كما ترجمة أيضا لهذا المركز **غونديسالفو** ويحنا بن داود الاسباني حيث عمل هذا الأسقف على دعم حركة الترجمة، مما جعلها مركزا هاما لتعليم والتعلم.[1] ولكن الدور الأكبر في هذه المدرسة كان **لرايموندو** أسقف طليطلة (545هـ/ 1150م)، الذي عمل على ترجمة النصوص العربية العلمية والأدبية إلى اللغات اللاتينية، وكان من أبرز المترجمين ومستشار الملك قشتالة في تلك الفترة، وعمل على رئاسة جماعة مترجمي طليطلة في عهد ألفونسو السابع. حيث حثهم على أهمية نقل المؤلفات العربية.[2]

وترجمت أيضا عدة كتب علمية مثل كتب العلوم الطبيعية والفلسفة والمنطق من قبل يوحنا الاشبيلي في القرن الثاني عشر ميلادي، ومن بين الكتب التي ترجمت نجد كتاب في **الحركات السماوية للفر غاني (ت247هـ/ 861م)**.

وكتاب **الحساب للخوارزمي** وكتاب **دلائل الفلك لثابت بن قرة (ت 288هـ/900م)**، ومؤلفات **أبو معشر(ت 272هـ/885م)**، **جعفر بن مُحَمَّد البلخي**[3]، و بمجيء المترجم الإيطالي جيرارد الكريموني (583هـ/1187م)، إلى طليطلة بدأت المرحلة الثانية لمدرسة المترجمين حيث عملت هذه الشخصية البارزة في مدرسة المترجمين بطليطلة على ترجمت حوالي سبعين كتابا في مقدمتهم كتاب **القانون لابن سينا**[4]،وبهذه المرحلة تمكن الأوربيين التعرف على المعارف الإسلامية التي احتلت الصدارة بها العلوم العقلية وتلتها الفلسفة والطب والعلوم الدينية، وبذلك فتحت المدرسة بابها أمام أوروبا لتنتهل من المعارف العربية.[5]

ومن نخبة الناقلين والمترجمين المهرة في بلاد الأندلس، والذين حملوا على عاتقهم ترجمة نفائس الكتب العربية أيضا

ـ **دومنجو غنصالفة** :كان يتعقب ترجمات يحي الأشبيلي إلى القشتالية ويحوله للاتينية ،ترجم كتاب النفس وكتاب الطبيعيات لابن سينا وأغلب إنتاجه في ميدان النقل بين سنتي 525هـ/566هـ.[6]

---

[1]- ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص104.

[2]- نفس المرجع ، ص202.

[3]- ابن النديم أبو الفرج يعقوب، الفهرست، تح :يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ص337-338.

[4]- هو أبو علي الحسن: (370هـ-428هـ) فيلسوف وطبيب عربي يعرف بالشيخ الرئيسي يعتبر منظم الفلسفة والعلوم في الإسلام تجاوزت مصنفاته المائة ، منير البعلبكي، المرجع السابق،ص27.

[5]- جمعة شيخة، المرجع السابق، ص133.

[6]- نفس المرجع،ص136

_ **ألفرد دي سرشال** : وهو مترجم انجليزي نقل رسائل كثيرة في الكيمياء ،وكتاب النبات لأرسطو الذي نقله حنين بن إسحاق[1]، ونقحه ثابت بن قرة ،ونقل أيضا كتاب الشفاء لابن سينا ،كما صنف عدة كتب ظهر فيها التأثير والعربي واضحا [2].

_ **أفلاطون التي فولي** : (1134م_1154م)مترجم من برشلونة قام بترجمة رسالة من السفار بالإسطرلاب و زيج البناتي بعنوان علم النجوم سنة1140م ،والحساب لبطليموس عن ترجمته العربية وكتاب الجبر والهندسة العلمية ، لإبراهيم برحيا عن العربية.[3]

_ **هوجودي سنتلا** : مترجم عاش في النصف الأول من القرن السادس الهجري وكان يترجم من العربية إلى اللاتينية بأمر من القس مخيائيل الترزوني، وقد عمل هو نفسه قسا بهذه المدينة ،وكان مولعا بترجمة الكتب العربية ،مثل كتاب المواليد الكبرى وشرح ابن المثنى على زيج الخوارزمي ،وكتاب لأبي معشر في التكهنات للأحوال الجوية ،ومن المرجح أن هذا المترجم كان يعمل ضمن مجموعة من النقلة بالشمال الشرقي ،وكانت عاصمة سرقسطة التي سقطت بيد الأسبان حوالي القرن السادس الهجري ،وكان إلى جانب المترجم هوجو أفلاطون و طبرتينوس من برشلونة ،وأول ما نقل هذا المترجم إلى اللاتينية كتاب الهندسة التطبيقية ، عن العبرية ،وقد اهتم أيضا بكتب التنجيم ومنها علم النجوم للبتاني الذي تم عن طريقة دخول استعمال حساب المثلثات ،كما ترجم كتاب الكريات لتيودوس .[4]

_ **ميخائيل سكوت** : من أشهر المترجمين ،قام بترجمة كتاب البتروجي عن الحركة السماوية و أتمه بطليطلة مع الكاهن اليهودي أبي داود ،انتقل سكوت إلى ايطاليا مابين عامي 620هـ/628هـ واعتنى بشروح ابن رشد على أرسطو فترجمها ، ثم دخل جامعة باريس وتأثر بأفكار ابن رشد وفلسفته .[5]

---

[1]_ حنين بن إسحاق : مترجم وطبيب وفيلسوف ،ولد سنة 808 م /192هـ بالحيرة قريبا من الكوفة وتوفي سنة 873م/ 260هـ في بغداد وتعلم منذ صغره اللغة العربية وأتقنها بالإضافة إلى اللغة اليونانية والسريانية والفارسية ،ترجم العديد من المؤلفات إلى اللغة العربية في العصر العباسي ،يعتبر أشهر وأهم مترجم نقل تراث ومعارف الحضارات القديمة إلى العربية ،وفي هذه الفترة أعيدت ترجمة المجسطي والحكم الذهبية لفيثاغورث والمقولات لأرسطو ، أنظر حربي عباس ،حسان حلاق ، العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية ،دار النهضة العربية ،بيروت ،1995،ص251

[2]_ يحي مراد ،المرجع السابق ، ص154

[3]_نفس المرجع ،ص151

[4]_ جمعة شيخة ،المرجع السابق ،ص135_136

[5]_ نفس المرجع ،ص135هـ

وبهذا كانت المدرسة الطليطلية للترجمة نقطة انطلاق جديدة لحركة الترجمة ونقل العلوم و المعارف الإسلامية للغرب المسيحي .

### 3_ ألفونسو العاشر ودوره:

تبدأ المرحلة الثانية من تاريخ المدرسة بطليطلة في عهد ألفونسو العاشر(650-683هـ/1263-1284م) حيث عرف باهتمامه الشديد بالحضارة الإسلامي والعلوم والترجمة، فكان ألفونسو ملك قشتالة حاميا للعلوم ومشجعا لها، خاصة العلوم الإسلامية إلى أوربا، ولقب بسبب اهتمامه الفائق بالعلم والترجمة بألفونسو الحكيم[1]. وكان حوله مستشارون علماء من العرب له الدراسات العلمية، وهو الذي عمل على تأسيس جامعة سلمنكة، وبدأ بتأليف أول تاريخ قومي لاسبانيا كما وضع اللوحات الفلكية المعروفة باسم جداول ألفونسو الفلكية، توفي سنة 1284م[2]،

كما كان ألفونسو رجلا نشطا في مجال الترجمة، وكان يدعو بترجمة الكتب الأدبية الدينية والعلمية، ومن هذا المبدأ عمل على تأسيس معهد الدراسات الشرقية سنة (648هـ/1250م) بهدف تعلم اللغة العربية والعبرية لاستفادة من علوم المسلمين[3].

كذلك كان هذا الملك شغوفا بالعلم يشرف بنفسه على الأعمال التي كانت تجرى بمدرسة طليطلة وكان يرتب وينظم بنفسه ما أمر نقله من الكتب العربية وترجمته، ويراجع ما ينجز من الترجمات ويعمل على إصلاح أسلوب ترجمتها، كما حدث في مقدمة ما يعرف بالأوامر الخاصة بكتب النجوم الأربعة[4] ، ومن المهام والأدوار التي قام بها ألفونسو العاشر كخطوة مهمة أمره بإنشاء مدرسة الرياضيات والفلك في مدينة مرسية فضاع صيتها بفضل العالم المسلم (أبو بكر مُحَمَّد بن أحمد القوطي) الذي عينه رئيسا لها فأصبحت مركزا مهما لمختلف بقاع أوربا[5]، كما كان له دور كبير في الترجمة من اللغة العربية إلى اللغة القشتالية عوضا عن النقل من اللغة العربية إلى

[1]- سعيد عبد الله البشري، المرجع السابق، ص105.
[2]- مُحَمَّد ماهر حمادة، المرجع السابق، ص216.
[3]- هدى بنت جبير، المرجع السابق، ص315.
[4]- أنجل بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تر:حسين مؤنس القاهرة، 1955م، ص574.
[5]- سعد عبد الله البشري، المرجع السابق، ص116.

اللاتينية، فكانت بذلك نقطة تحول للترجمة وهذا بفضل عنايته لملك قشتالة[1] و عمد ألفونسو العاشر أيضا على تصنيف العديد من الكتب العلمية مثل كتاب ألفونسية من أجهزة علم الفلك وأدواته وكتبه تناول صناعة آلات والأدوات الفلكية ، كما اهتم بالمؤلفات القديمة مثل مؤلفات أرسطو وإقليدس ناهيك عن التراث المشرقي الكندي والرازي، وابن رشد[2].

ومن هذا نستنتج أن حركة الترجمة في طليطلة بعد سقوطها فتحت الأبواب أمام النصارى والأوربيين للنهل من المعارف الإسلامية وترجمتها إلى لغتهم اللاتينية ونقلها إلى عقر ديارهم لإدراك معالمها ومفاهيمها وبذلك العمل بها، كما أن بروز العديد من الشخصيات المسيحية واليهودية في عملية الترجمة خلق مصنفات مترجمة إلى لغات مختلفة كاللاتينية والعبرية، ومن أبرز الشخصيات التي كان لها الفضل في إنعاش الحركة الفكرية والعلمية في أوربا جلبها ألفونسو العاشر الذي ساهم في بناء التراث الاسباني بإنشاء العديد من المراكز التي عمدت هي الأخرى على دعم حركة الترجمة والازدهار في مجال العلوم والمعرفة.على الرغم من كون طليطلة المركز الرئيسي لعملية الترجمة في تلك الحقبة إلا أنه كانت مراكز علمية أخرى في الأندلس لا تقل أهمية.

**المطلب الثالث: الجانب العمراني**

أشرنا سابقا في المبحث الأول أن لطليطلة عدة مباني ذات أساليب مختلفة تنتسب إلى خليط من الإثنيات و الثقافات فتعددت بها المظاهر الحضارية.

**1/ العمارة المدينة:**

كان لطليطلة العديد من الأساور تتفرع عنها أبواب تؤدي إلى طرق شتى ذات اتجاهات مختلفة فذكرنا سلفا بعضها منها: باب الحديد، وباب الدباغين اللذان يشرفان على نهر تاجة ولا يزال الأخير منها يعرف باسمه العربي.[3] جميع الأبواب التي استحدثت في سور طليطلة بعد استيلاء الأسبان عليها كانت لها جميعا أصول عربية حيث كانت هذه الأبواب نقاط انطلاق من طليطلة نحو مختلف جهات الأندلس[4].

[1]- أميرلو كاسترو، اسبانيا في تاريخا (النصارى والمسلمون واليهود)، تر: إبراهيم منوفي، القاهرة، 2002م، ص545.

[2]- حسن الوراكلي، المرجع السابق ص37.

[3]- أنظر الملحق 07،و08،ص87_88

[4]- أحمد رشيد الخالدي، المرجع السابق، ص220.

2 / **العمارة الدينية :**

بما أن طليطلة كانت تحت الحكم الإسلامي، فكان لها معالمها الإسلامية والتي تمثلت في المساجد حيث شيدت من الحجارة التي محلها مادة الآجر والدش المصحوب بالجص في المباني الحضارية خلال أواخر القرن العاشر. [1] وبذلك أصبحت طليطلة ذات شخصية مختلفة من خلال استخدام الآجر وتقدمها في ذلك على المباني التي أقيمت في تلك الحقبة[2]. وبعد اعتلاء ألفونسو السادس عرش طليطلة نقض المعاهدة التي جرت بينه وبين أهلها، فعمل على تحويل المساجد إلى الكنائس كتحويل مسجد طليطلة الجامع إلى الكنيسة للنصارى[3]، وهذا ما يدل على محاولة طمس الهوية الإسلامية في المدينة، وطالت ألفونسو إلى مساجد أخر مثل مسجد الباب المردوم الذي أسسه أحمد بن حديدي فحوله إلى كنيسة بعد عام 1085م، وأطلق عليه اسم كنيسة " كريستودي لالوت"، ووهبه ألفونسو الثامن لإحدى الجمعيات الدينية، ثم أضيف إليه فيما بعد من جانبيه الشمالي رأسه على هيئة جنية من الطراز المدجل[4].

من الآثار الباقية أيضا في مدينة كنيتان كانتا لليهود وهما كنيسة سانتا ماريا لايلانكا التي أقامها ابراهام بن العشار بعد عام (647هـ/1250م)[5]، حيث مثل المعلم المعماري تراكما حضاريا، أي كانت معبدا قوطيا، ثم مسجدا ثم كنيسة وبعدها كيتيدرائية قوطية ذات مخطط غير عادي[6]. وكنيسة إلتراستو التي أقامها صمويئيل هالفي هالفي في عام (857هـ/1358م)، وكنائس نصرانية كثيرة وقاعات تحتوي سقوف خشبية مائلة ذات طابع إسلامي وكذلك باب مدجن المعروف باسم باب الشمس[7].

استولى الاسبان على المسجد الجامع بطليطلة قهرا وغصبا حيث تميزت سواري هذا المسجد بالضخامة وغرابة الشكل، فكل سارية محيطة بها ثمان سوار متصلة بها متقدم عليها أقواس في غاية العلو، وكان بنائه كله من الحجارة التي تشبه الرخام، وعلى الرغم من محاولة النصارى لطمس جميع معالم هذا المسجد ومحوها تماما إلا أنه

---

[1]-نظر الملحق رقم 05،ص85

[2]- ابن بسام ، المصدر السابق،ق4،م1،ص169.

[3]- أحمد أرشيدا لخالدي، المرجع السابق، ص226.

[4]- باسيليون بانون مالدوناد، عمارة المساجد في الأندلس، طليطلة، اشبيلية، تر علي إبراهيم منوفي، ط1، أبو ضبي للثقافة والتراث، 2011 م ص07.

[5]-نظر الملحق رقم 08،ص87

[6]-باسيليون بانون مالدوناد ، المرجع السابق، ص08.

[7]- أحمد أرشيد الخالدي، المرجع السابق، ص226.

مازال يتمتع بمعالمه الإسلامية البارزة[1]. وكذلك أثر سقوط طيطلة على تغيير معالمها الإسلامية بتحويل معظمها إلى معابد نصرانية [2]وتحويلها إلى مناطق معادية للمسلمين ومتقدم لمحاربتهم، وحصن منبع لحماية النصارى كما استخدمها ألفونسو كملجأ بعد هزيمته في معركة الزلاقة عام 479هـ، عندما أصيب في المعركة[3].

من خلال إبراز هذه المعالم المعمارية يتضح جليا أن هدف ألفونسو السادس هو استعادة أمجاد أجداده في المدينة ومحاولة استرجاع الهوية النصرانية التي ضاعت في طليطلة بسبب الفتح الإسلامي لها، وبالتالي أخذت القطع التي كانت في المساجد ترحل إلى دور العبادة المسيحية الغالبة على المساجد المحولة إلى كنائس، وإدراج الهندسة المدجنة في الكثير من الكنائس المستحدثة. حيث طالت يد التخريب لهذه المعالم حتى في لبنتها ومواد بنائها التي كانت تعد من الحجارة فغيرت إلى مادة الآجر و الدبش المصحوب بالجص، كنمط للبناء المسيحي.

[1]- أحمد أرشيد الخالدي ،المرجع السابق ، ص222.

[2]_ أنظر الملحق رقم 07،ص86

[3]- مجهول ، المصدر السابق، ص54.

# خاتـــــــــــمة

خاتمة

من خلال دراسة التداعيات الحضارية لسقوط طليطلة يمكننا الاستدلال بنظرية ابن خلدون في تطور العمران ،بأن للدول أعمار كأعمار الأشخاص ،تبدأ قوية تحت قيادة منشئيها،ولا يكاد ينتهي الجيل الثالث حتى تكون قد شرفت على الزوال و الاضمحلال وللعمران في نطاقها مرحلة من التألق والازدهار مرتبطة بحركة النشاط الإنساني في تطوره من حيث النمو و الارتقاء والضعف والزوال.

وبهذا نستخلص نتائج الدراسة مراحل النظرية:

ـ يتضح لنا من خلال دراستنا أن تواجد مدينة طليطلة كان من عوامله المجال الجغرافي المتواجدة ضمنه الإمكانيات الطبيعية والثروة المعتبرة ،حيث أن حسن اختيار مواقع المدن والأمصار ضرورة لاستدامة العمران .

ـ واستنتجنا من خلال الدراسة أن الحكم الإسلامي لطليطلة جعلها بؤرة للثورات ،وذلك لما تميز به أهلها من صلابة وقدرة التحمل ،واختلاف تركيبة مجتمعها لدعم ثوراتهم على الحكم المركزي .

ـ كما تبين لنا أيضا أن تركيبة المجتمع وتجانسها شكلت عنصرا نشطا في جميع جوانب الحياة ومختلف المجالات مما جعلها مركزا مهما في فترات الخلافة أبعدها عن الثورات والنزاعات .

ـ ونستنتج أن مرحلة الجيل الثاني التي تكمن في القوة والازدهار في نظرية العمران ،قد شملت المدينة في أيام بني ذي النون، الذين دعموا حركة التوسع والعلم والتعلم فازدهرت بذلك طليطلة أكثر .

ـ كما كشفت الدراسة أن مرحلة الضعف بدأت بخطة ألفونسو السادس في إسقاط طليطلة بخلق المؤامرات والدسائس في محيطها وإضعاف دور الممالك في حمايتها ، وذلك بدراسة أوضاعها في استدراك تقلص اقتصادها وانخفاضه في فترات الحروب ،وذلك لما تكون منتجاتها محفوظة من المستهلكين مما يجعل الطلب والحاجة في التزايد عليها .

ـ و استنتجنا من الدراسة أن سقوط المدينة وبداية زوالها كان محنة المسلمين وبداية انحصار لتواجدهم في شبه الجزيرة مما نتج عنه توالي سقوط الممالك الإسلامية في مجالها الجغرافي.

ـ وأكدت الدراسة على أن علماء طليطلة كانت لهم علاقات كبيرة مع عدد من المدن والبلدان الإسلامية وذلك من خلال تواصلهم وارتباطهم بها مما أبرز دورهم في التأثير على هذه المدن .

ـ وكشفت الدراسة أن قيام حركة ترجمة الكتب العربية بعد سقوط طليطلة من اكبر الأدلة على توافر أعداد هائلة من الأجناس إليها وذلك تأكيدا لنظرية أن العلم والتعلم أمران أساسيان في العمران ،حيث يزدهر العلم ويرقى العمران .

ـ واتضح لنا كذلك أن طليطلة زخرت بآثار عمرانية مزجت بين الفن الإسلامي والمسيحي مما جعلها فريدة في معالمها ومميزة .

ـ كما تبين من خلال الموضوع أن استرجاع النصارى لطليطلة كان بمثابة النصر العظيم للعالم المسيحي وذلك للأثر الايجابي الذي شاهدته المدينة في استمرارها كمركز إشعاع حضاري نهل منه الغرب المسيحي.

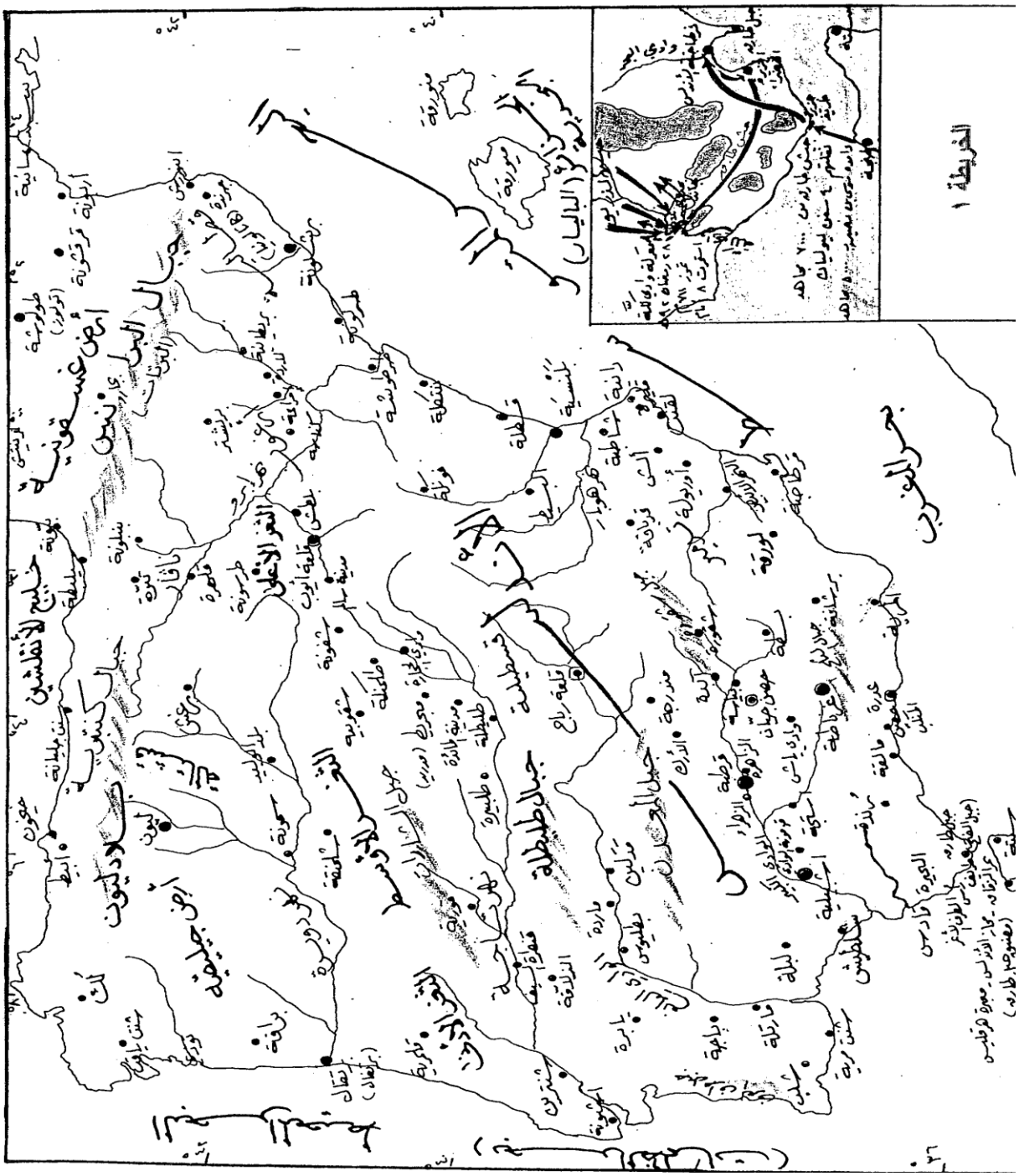
# قائمة الملاحق

**1_ الخرائط**

**2_ الصور**

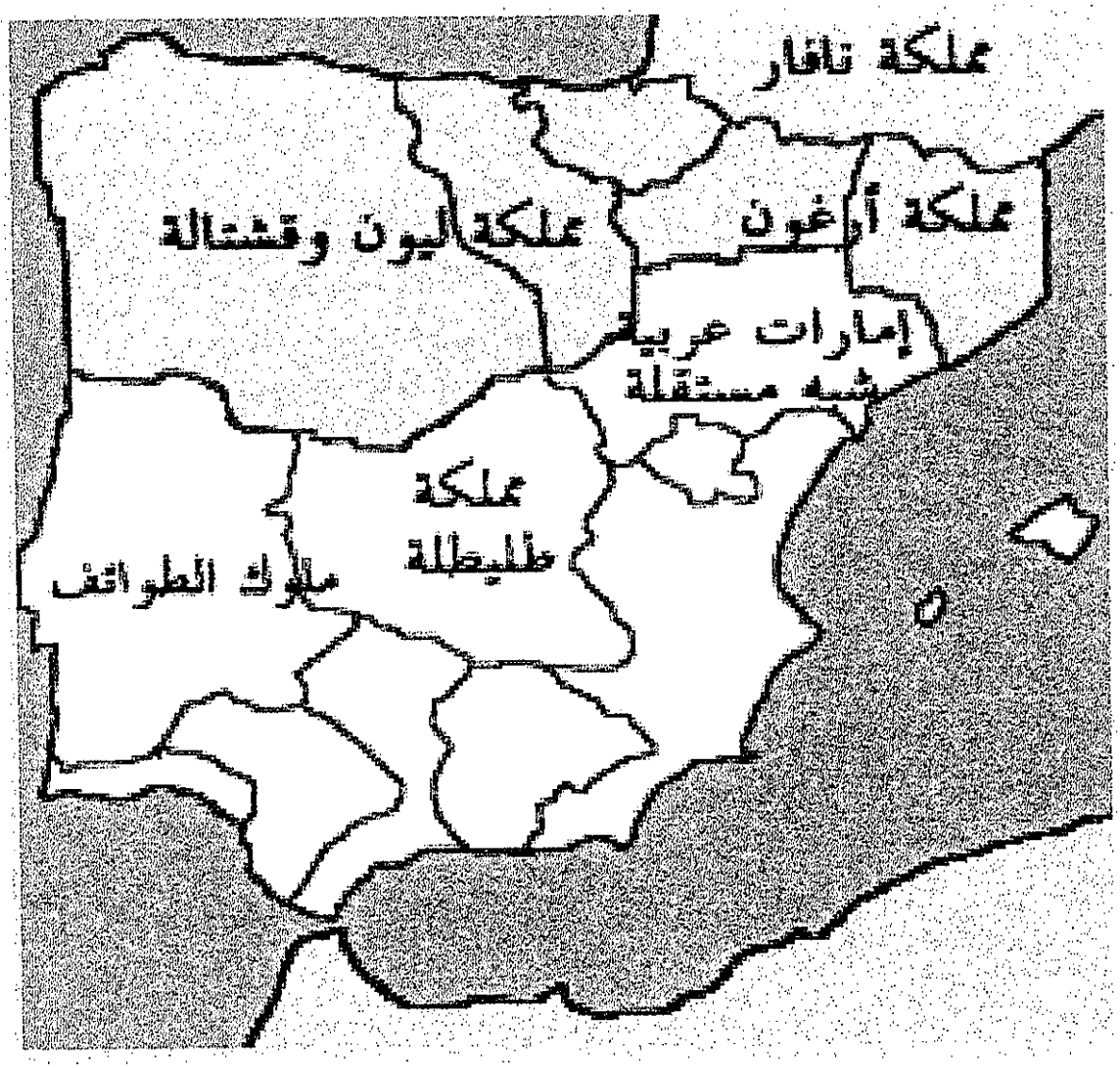
**3_ الجداول**

الملحق رقم :01 **خريطة توضح الموقع الجغرافي لطليطلة**

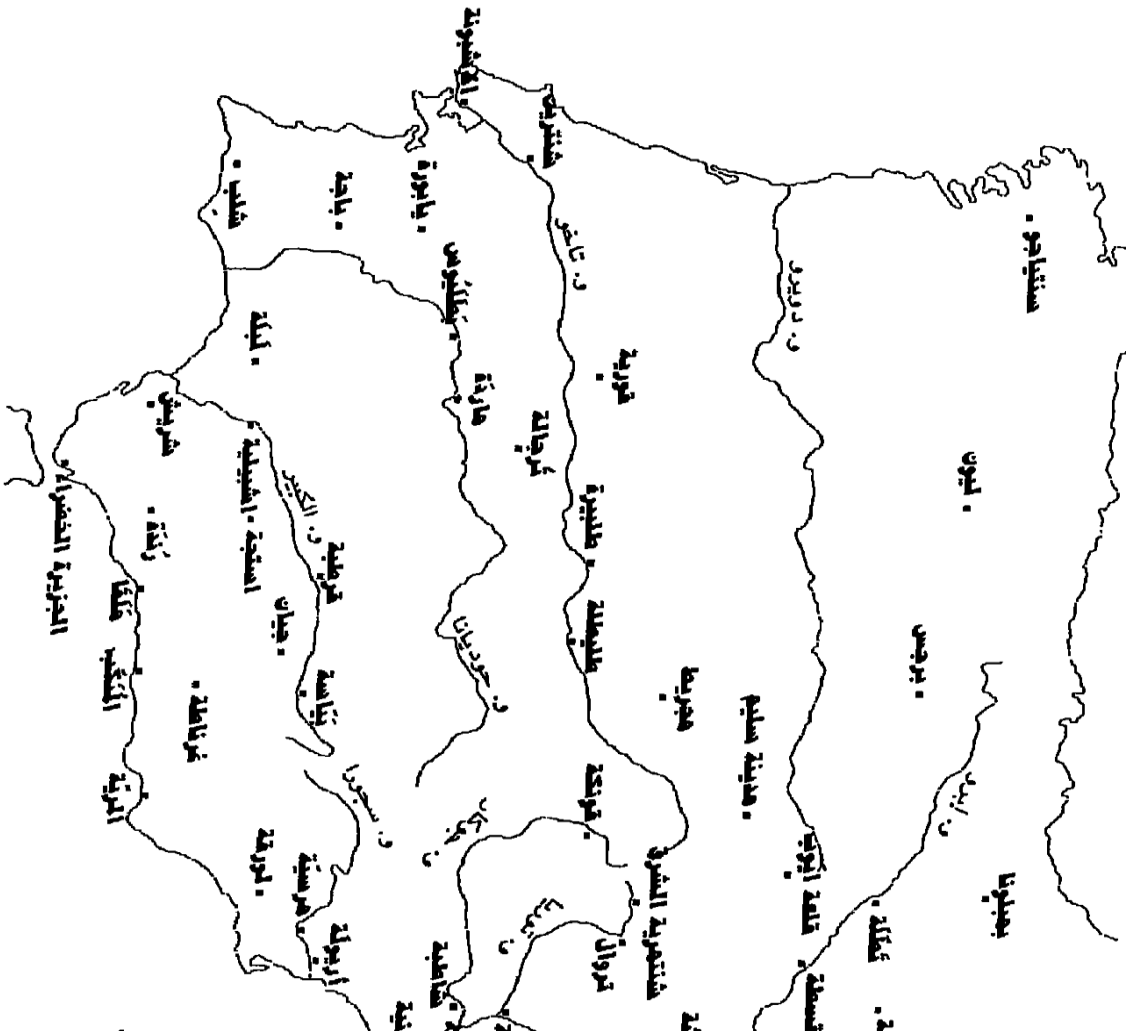



**1**_ حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص509

**الملحق رقم :02 خريطة توضح حدود مملكة طليطلة وتوسطها ملوك الطوائف**

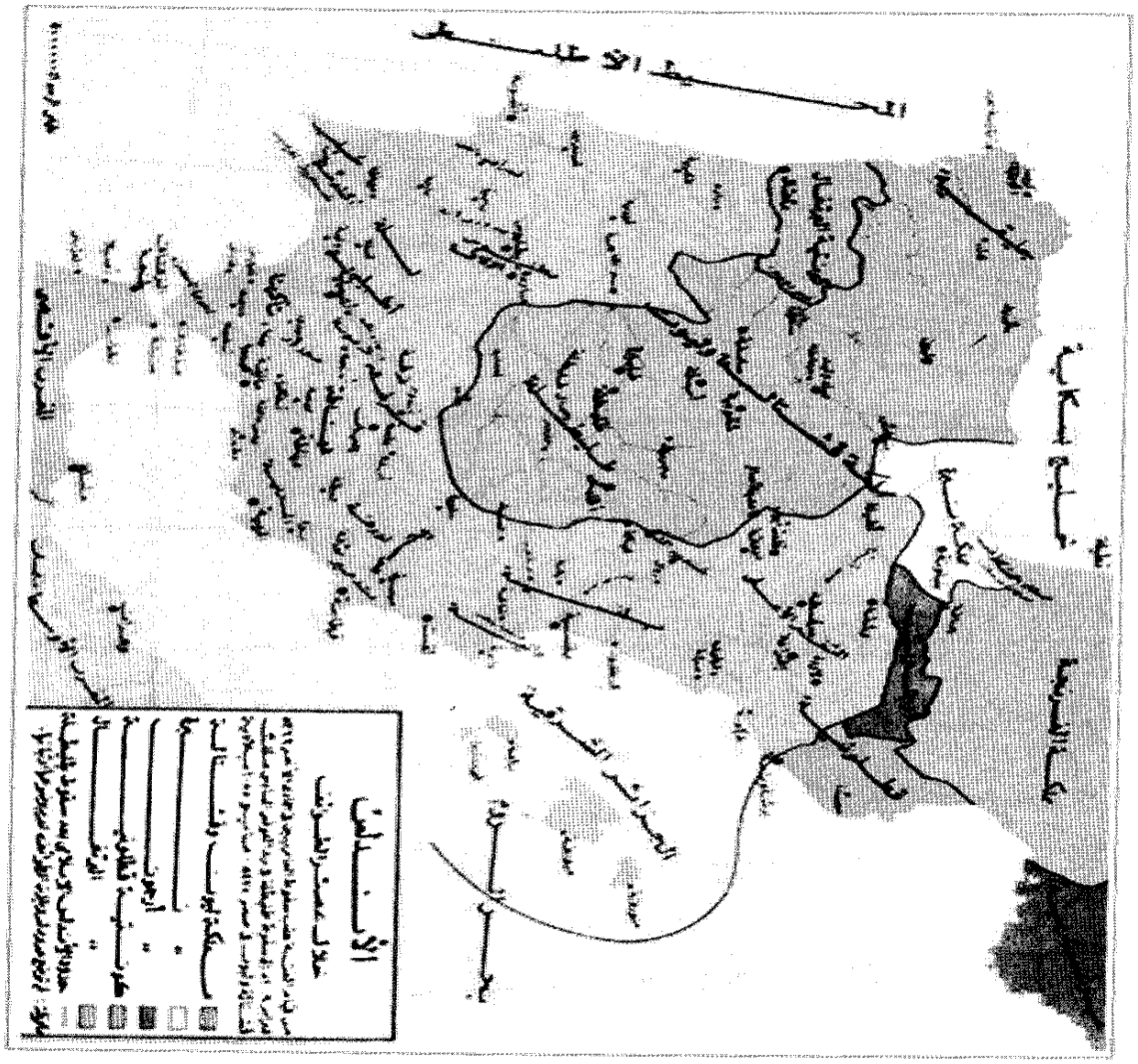



2_ حسين مؤنس ،المرجع السابق ،ص 500



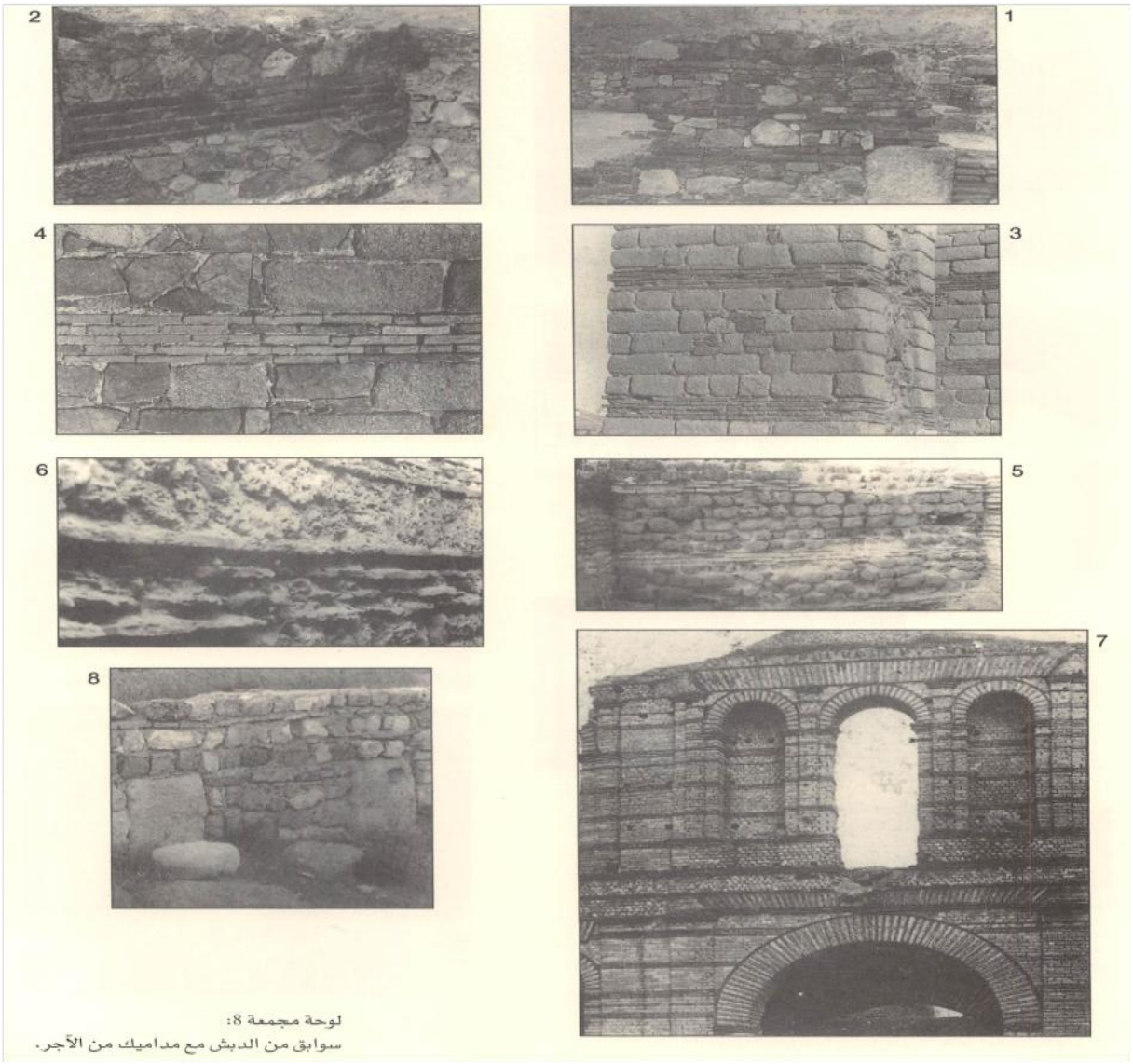
**2**_السرجاني راغب قصة الأندلس ،ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ،1436هـ_2010م،ص 385

_ الملحق رقم :04 **خريطة سقوط طليطلة**



4_ السر جاني راغب ،المرجع السابق ،ص 457.

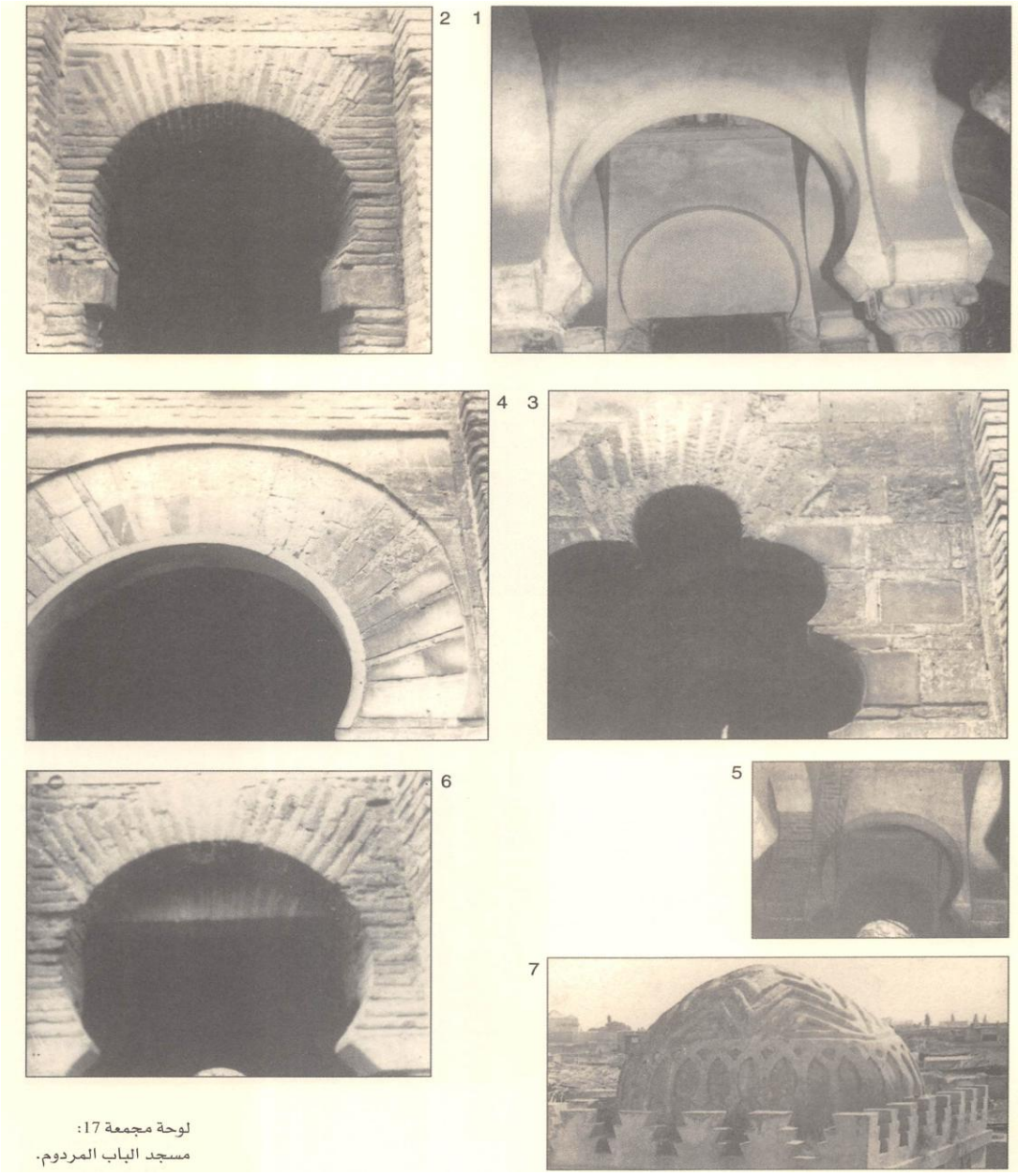
الملحق رقم: 05 سوابق من الدش والآجر




لوحة مجمعة 8:
سوابق من الدبش مع مداميك من الآجر.

5 _ باسيليون ،المرجع السابق ،ص32

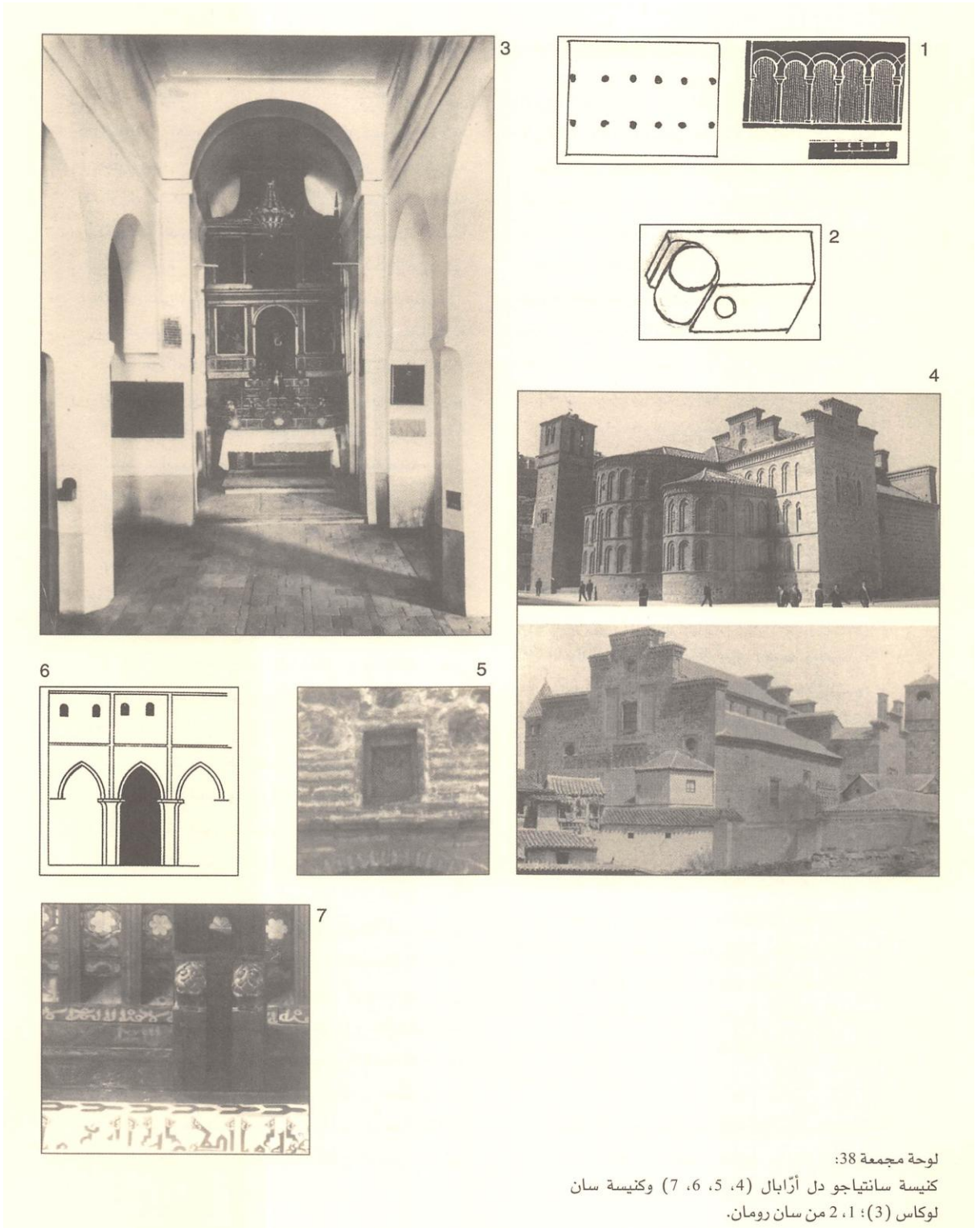
اللحق رقم : 06 مسجد باب المردوم




لوحة مجمعة 17:
مسجد الباب المردوم.

6_ باسيليون ،المرجع السابق ، ص 69

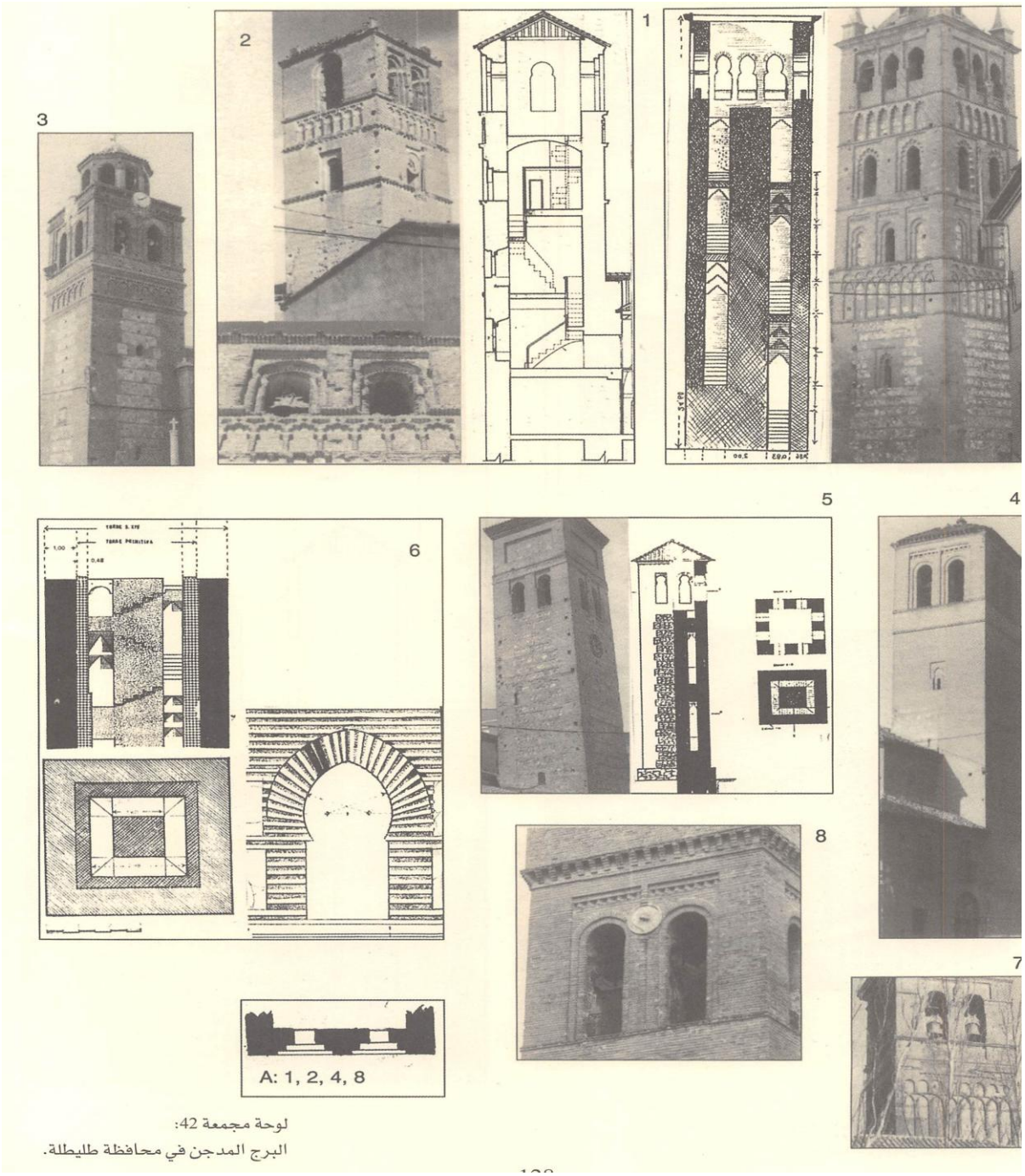
الملحق رقم : 07 مجموعة من الكنائس




لوحة مجمعة 38:
كنيسة سانتياجو دل أرّابال (4، 5، 6، 7) وكنيسة سان لوكاس (3)؛ 1، 2 من سان رومان.

7_ باسيليو بابون مالدونادو ،المرجع السابق ،ص102

**الملحق رقم :08** برج مدجن في مدينة طليطلة




لوحة مجمعة 42:
البرج المدجن في محافظة طليطلة.

8 _ باسيليو ،المرجع السابق ،ص11

**الملحق رقم :09**

**جدول زمني لقادة وحكام الثغر الأدنى (طليطلة )**

| سنة الحكم والوفاة | الحاكم (القائد العام ) | أعماله | المصدر |
|---|---|---|---|
| 409هـ_419هـ<br>1018-1028م | يعيش بن مُحَمَّد بن يعيش الأسدي | تولى الأحكام وصار غليه تدبير الرئاسة | _ ابن بشكوال ،المصدر السابق ،ص529 |
| 419هـ_427هـ<br>1028م_1036م | عبد الرحمان بن متيوه ،عبد الملك بن متيوة | / | ابن عذارى ،المصدر السابق ،ج3،ص196 |
| 427هـ_429هـ<br>1036م_1037م | إسماعيل بن عبد الرحمان ذي النون "الظافر " | أول الثوار لمفارقة الجماعة ساسة أهل مملكته بطريقة سلسة استقاموا عليها | ابن الخطيب ،المصدر السابق ،ص177 |
| 429هـ_467هـ<br>1037م_1075م | يحي بن إسماعيل بن عبد الرحمان بن إسماعيل "المأمون " | غزى بلنسية منازعات بينه وبين سليمان بن هود | ابن خلدون ،المصدر السابق ،ج4،ص161 |
| 467هـ_478هـ<br>1075م_1085م | يحي بن إسماعيل بن المأمون "القادر" | تسليم مدينة طليطلة سنة 478هـ | نفسه |

**الملحق رقم :10**

**جدول زمني لمحاولة استرجاع طليطلة**

| السنة | القائد العام | قائد الجيش | وصف الحدث | المصدر |
|---|---|---|---|---|
| 483هـ_1090م | يوسف بن تاشفين | يوسف بن تاشفين | حاصرها وخرب أحوازها وسبى | ابن أبي زرع ،المصدر السابق ،ص153 |
| 493هـ_1099م | | يحي بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين سير بن أبي بكر مُحَمَّد بن الحاج | حاصروها وشنوا الغارات على نواحيها | ابن كردبوس ،المصدر السابق ،ص109 |
| 500هـ_1106م | | مُحَمَّد بن أبي زلفى عبد الله بن الحاج | غزا طليطلة وأوقع بالنصارى | ابن أبي زرع ،المصدر السابق ،ص158 |
| 503هـ_1109م | علي بن يوسف | علي بن يوسف | قصد طليطلة ونزل على بابها ،وانتشرت جيوشه داخل بلاد المشركين ،فتح من أحواز طليطلة 27حصنا | ابن عذارى ،المصدر السابق ،ج4،ص52 |

# قائمة
# المصادر والمراجع

**1_ المصادر:**

**1- ابن الآبار أبو عبد الله بن أبي بكر القطاعي (ت685هـ**

_ الحيلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس، الجزء1 ، الطبعة 2 ، دار المعارف ،القاهرة ،1985م

_ المعجم في أصحاب القاضي الإمام الصدفي ، مطابع روخسة ، مجريط ، 1885م.

_ التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، الجزء1_ 2، دار الفكر، بيروت، 1415هـ _1995م.

**2- الإدريسي الشريف أبو عبد الله مُحَمَّد بم مُحَمَّد بن عبد الله الحمودي الحسني**

_ نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، عالم الكتب، بيروت، 1409 هـ_1989م

**3- الأزدي علي بن ظافر**

_ بدائع البدائة ، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ، د ت.

**4-الأشبيلي أبي الخير**

_ عمدة الطيب في معرفة النبات ، تحقيق مُحَمَّد العرابي الخطابي ، د ط ،مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة التراث ، د ت .

**5- الإصطخري أبي إسحاق بن مُحَمَّد الفارسي**

_ مسالك البلدان ، مطبعة بريل ،ليدن ،1927م

**6- ابن بسام أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني**

_ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الطبعة 1، دار الثقافة، بيروت، 1979 م

**7- ابن بشكوال**

_ كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائها ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ،تصحيح، السيد عزت العطار الحسني ، الطبعة 2، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1414هـ_1994م

**8- البكري أبي عبيد (487هـ)**

_ جغرافية الأندلس جزء من المسالك و الممالك، تحقيق عبد الرحمان علي حجي، الطبعة 1، دار الإرشاد للطباعة والتوزيع و النشر، بيروت، 1387هـ_1967م

**9-ابن بلقين**

ـ التبيان عند الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ، تحقيق ليفي بروفيتسال ،الطبعة 1، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،2006م

**10- ابن حزم أبو علي بن أحمد بن سعيد**

ـ جمهرة الأنساب العرب، دار الكتب العلمية، لبنان، 1418هـ_1998م.

ـ طوق الحمام من الآلفة والآلاف ، ضبطه صلاح الدين الهواري ،دار البحار ،دار ومكتبة الهلال ،بيروت ،2006م .

**11- ابن حكيم**

ـ فتوح إفريقيا و الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت ن1964م

**12- الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي**

ـ معجم البلدان ،تحقيق عبد العزيز الجندي ،الطبعة 1،المكتبة العلمية ،بيروت ،دت

**13- الحميدي أبي عبد الله مُحَّد بن أبي نصر فتوع بن عبد الله الأزدي (ت488هـ)**

ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ،المكتبة الأندلسية ، 1966م.

**14- الحميري أبي عبد الله مُحَّد بن عبد الله بن عبد المنعم**

ـ الروض المعطار في خبر الأقطار ،تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان ،بيروت ،ط1/1975م،ط2/1984م.

**15- ابن حوقل**

ـ صورة الأرض ،دار السلام ،دط، القاهرة ،د ت

**16- ابن حيان**

ـ المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق عبد الرحمان علي حجي ، المكتبة الأندلسية ،توزيع دار الثقافة ، لبنان ، د ت ،

**17- ابن الخطيب لسان الدين (ت776هـ)**

ـالإحاطة في أخبار غرناطة ،تحقيق مُحَّد عبد الله عنان ، الطبعة &، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،1393هـ_1983م

ـ اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، تصحيح محي الدين الخطيب ،المطبعة السلفية ،القاهرة ، 1347هـ .

ـ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام و ما يتعلق بذلك من شيوخ الكلام ، ليفي بروفنسال ،الطبعة 1،مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1424هـ_ 2004م

**18- ابن خلدون**

ـ تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد 4، مؤسسة جمال للطباعة و النشر، 1399هـ_1979م

**19- الدينوري أبي مُحَمَّد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 282هـ)**

ـ الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء )،تحقيق طه مُحَمَّد الزيني ، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع ،القاهرة ،1487هـ_1967م

**20- الذهبي شمس الدين مُحَمَّد بن عثمان**

ـ تاريخ الإسلام ووفيات الأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدميري، الطبعة 1، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان، د ت.

**21- ابن أبي زرع**

ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور ،الرباط ، 1972م

**22- ابن سعيد المغربي**

ـ المغرب في حلي المغرب، الجزء 2، د ط، د ت.

**23- ابن السماك أبي القاسم مُحَمَّد بن أبي العلاء**

ـ الزهرات المنشورة في نكت الأخبار المأثورة ،تحقيق محمود علي مكي ،منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ،اسبانيا ،1404هـ_1974م

**24- السيوطي الحافظ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي**

ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنجاة ،تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ،الطبعة 1،مطبعة الباي الحلبي وشركاؤه ،1384هـ_1964م

**25- ابن الشباط مُحَمَّد بن علي بن الشباط المصري التويزري**

_ صلة السمط وسمة الرمط ،تحقيق أحمد مختار العبادي ،وصف الأندلس لابن الشباط ،صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، المجلد 14، مدريد ، اسبانيا ،1968م .

**26- ابن صاعد الأندلسي**

_ طبقات الأمم ،نشر واعتناء لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ،1912م

**27- صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق الرومي البغدادي**

_ أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق علي مُحَّد البجاوي،الجزء 2 ، الطبعة 1، دار إحياء الكتاب العربية ، 1384هـ_1954م

**28- الضبي أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (599هـ)**

_ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ،تحقيق روحية عبد الرحمان السويفي ، الطبعة 1، منشورات مُحَّد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ، 1418هـ_1998م

**29- الطرطوشي مُحَّد الوليد**

_ سراج الملوك، تحقيق جعفر البياني، الطبعة 1، رياض الريس، للكتب و النشر، 1990م

**30- ابن عذارى المراكشي**

_ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،تحقيق ليفي بروفينسالوج كولان ، الجزء12، دار الثقافة ،لبنان ، د ت

**31- ابن غالب**

_ فرحة الأنفس في أخبار أهل الأندلس، نشر لطفي عبد البديع، المجلد 1، مجلة معهد المخفوظات العربية، القاهرة، 1955م

**32- الغساني أبو القاسم مُحَّد.**

_حديقة الأزهار في العشب والعقار ، تحقيق مُحَّد العربي الخطاب ،الطبعة 1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،د ت .

**33- أبو الفداء**

_ تقويم البلدان تصحيح رينود وماك كوكين ديسلان ، باريس ، دار الطباعة السلطانية ،1840م

**34- ابن الفرضي ابن مُحَّد الأزدي**

_ تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمان، الطبعة 1، دار الفكر العلمية، 1417هـ_1997م.

**35- القاضي عياض**

_ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، مكتبة الحياة، دار مكتبة الفكر، بيروت، طرابلس، د ت.

**36- القزويني**

_ آثار البلاد وأخبارا لعباد، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، 1400 هـ_1980م

**37- ابن القوطية**

_ تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، الطبعة 1، مؤسسة المعارف والطباعة للنشر ، بيروت ، 1415هـ-1994م

**38- ابن قيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر**

_ أحكام أهل الذمة، تحقيق صبحي الصالح، الطبعة 4، القسم 2، دار العلم للملايين، بيروت، 1994م.

**39- ابن الكر دبوس**

_ قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ،أحمد مختار العبادي ،تاريخ الأندلس لابن الكر دبوس ووصفه لابن الشباط نصان جديدان ،صحيفة معهد الدراسات ،المجلد 13، اسبانيا ،مدريد ،1965_1966م

**40- المراكشي أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد عبد الملك الأنصاري**

_ السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول و الصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان،د ت

**41- المقري أبو أحمد العباس**

_ نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق يوسف الشيخ مُحَمَّد البقاعي ، الجزء 1،الطبعة 1، دار الفكر ،بيروت ، 1419هـ_1998م

**42- مؤلف مجهول**

_ ذكر بلدان لأندلس،تحقيق لويس مولينا ، الجزء 1 ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ،مدريد ، 1983م

_ أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة فيها بينهم ، تحقيق إبراهيم الأبياري ،الطبعة 1،دار الكتاب المصري ، القاهرة ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،1401هـ_1981م .

_ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، الطبعة 1،دار الرشاد ،الدار البيضاء ، 1979م

**43- ابن النديم أبو الفرج يعقوب**

_ الفهرست، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت،1988 م

**44- النويري**

_ نهاية الأرب في فتوح الأدب، تحقيق أحمد كمال زكي، مراجعة مُحَمَّد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م

**45- الونشريسي**

_ المعيار المغرب والجامع المغرب في فتاوى أهل إفريقيا و المغرب، الجزء 6، أخرجه جماعة من الفقهاء، إشراف مُحَمَّد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، د ت.

**2_ المراجع**

**1_أحمد أرشيدي الخالدي**

_ المدن و الآثار الإسلامية في العالم، الطبعة 1، دار المعتز للتوزيع والنشر، عمان

**2_أحمد علي**

اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى ،"مجلة الآفاق والتراث دبي "،السنة الخامسة ،العدد17، الإمارات ،محرم ،1418هـ_1997م

**3_أحمد مختار العبادي**

_ صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، الطبعة 1، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 2000م

**4_البستاني بطرس**

_ دائر ة المعارف ،المجلد 11،دار المعارف ،لبنان ،د ت

**5 _بود شيش إبراهيم القادري**

_ مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، الطبعة 1، دار الطبعة، بيروت، 1998م

**6_ جمعة شيخة**

الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات،ندرة الأندلس الحضارة والعمران والفنون ،الطبعة 1،مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز ،الرياض ،1996م

**7_ حسن الوراكي**

_ ياقوتة الأندلس ، دراسات في التراث الأندلسي ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1994م

**8_حسين عبد العزيز أحمد**

_ جغرافية أوروبا، دار المريخ للنشر، الرياض، 1982م

**9_حكمت نجيب عبد الرحمان**

_ دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ،الموصل ،1977م

**10_رجب مُحَمَّد عبد العليم**

_ العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر ملوك بني أمية وملوك الطوائف ،دار الكتب الإسلامية ،دار الكتب المصري ، القاهرة ،دار الكتب اللبناني ،بيروت ،د ت.

**11_الزركلي خير الدين**

_ الأعلام، الطبعة 8، دار العلم للملايين، 1989م

**12_سحر عبد العزيز سالم**

_ الجوانب الاجتماعية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس والغرب المسيحي والغرب الإسلامي خلال القرون الوسطى ،تنسيق مُحَمَّد هام ،الطبعة 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة مُحَمَّد الخامس ،الرباط ،1995م

**13_السر جاني راغب**

_قصة الأندلس ، الطبعة 1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ،القاهرة ،2010م

**14_سعيد بن عبد الله البشري**

ـ الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات العلمية،الرياض ،1414هـ_1993م

**15_السيد عبد العزيز سالم**

ـ في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،القاهرة ،1998م

**16_ شكيب أرسلان**

ـ الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ،دار الكتب الإسلامية ،القاهرة ، د ت

**17_ عباس حربي وحسان حلاق**

ـ العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية ،دار النهضة العربية ،بيروت ،1995م

**18_ عبد الرحمان علي حجي**

ـ التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة ،الطبعة 5، دار القلم ،دمشق ،1418هـ_1997م

**19_ عز الدين فراج**

ـ فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ،دار الفكر العربي ، القاهرة ،2002م

**20_ كمال السيد مصطفى**

ـ تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين و الموحدين ،د ط،مركز الإسكندرية ، الإسكندرية .

**21_ مُحَمَّد السوسي**

ـ العلوم بالأندلس،بحث منشور ضمن كتاب الثقافة العربية الإسلامية عبر التاريخ ،دمشق ،1990م

**22_مُحَمَّد عبد الله عنان**

ـ دولة الإسلام في الأندلس ،الطبعة 3، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،1988م

**23_هيكل أحمد**

_ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ،الطبعة 7،دار المعارف ،مصر ،1993م

**24_ يحي مراد**

_ معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت ،2004م

**3_ المراجع المعربة**

**1_آدم متر**

_ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ،تحقيق مُحَمَّد عبد الهادي أبو زيد ،الطبعة 4، مكتبة الخانجي ،دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1478هـ_1968م

**2_أشباح يوسف**

_ تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ،ترجمة عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،1996م

**3_ أميرلو كاسترو**

_ اسبانيا في تاريخها ، (النصارى ،المسلمون ،اليهود )،ترجمة إبراهيم المنوفي ،القاهرة ،2002م

**4_ انجل بلانثياجانتالث**

_ تاريخ الفكر الأندلسي ،ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،1995م

**5_باسيليون بانونمالدوناد**

_ عمارة المساجد في الأندلس ،طليطلة و أشبيلية ، ترجمة د إبراهيم منوفي ،الطبعة 1، أبو ضبي للثقافة والتراث ،2011م

**6_ بيرنيتشتارلز**

_ حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى في اسبانيا ، الطبعة 2، مركز دار الوحدة العربية ، بيروت ،1999م

**7_شاخت وبوزوت**

_ تراث الإسلام ، تحقيق حسين مؤنس وآخرون ،الكويت ،1978م

**8_ فليب**

_ تاريخ العرب ،تحقيق جبرائيل حيدر ،الجزء 2،بيروت ،1950م

**9_ لويس يونغ**

_ العرب في أوروبا ، ترجمة ميشال أزرق ،دار الطليعة ،بيروت ،1979م

**4_ الرسائل العلمية**

**1_بوباية عبد القادر**

_ البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي )،رسالة دكتوراه ،تحت إشراف غازي جاسم الشمري ،جامعة وهران السانية ،الجزائر ،(1423/1422هـ/2001_2002م)

**2_هدى بنت جبير السفيا**

_ الترجمة من العربية إلى اللاتينية نشأتها وتطورها وأثرها في أوروبا من منتصف القرن (5هـ_11م)،أطروحة دكتورة ،كلية الشريعة ،جامعة أم القرى ،المملكة العربية السعودية ،1433هـ

**5_ المقالات**

**_ بوخاري عمر**

إمارة طليطلة في عهد عبد القادر بالله (467_478هـ/1074_1085م)، "مجلة القرطاس" ،العدد11،جانفي 2019م

**3_التهامي الراجي**

_ الأبواب في الأندلس ، "مجلة المناهل" ،العدد13،السنة الخامسة ، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ،الرباط ،محرم1399هـ_1978م

**4_حكيم أحمد**

_ حركة الترجمة في الأندلس ودورها في التقدم العلمي الأوروبي (6_8هـ/12_14م)،"مجلة جامعة كركوك للدراسات الأندلسية "،المجلد 12، العدد1،السنة 2018م

**5_عبد القادر عثمان مُحَمَّد**

_ المستعربون في عصر ملوك الطوائف ،"مجلة مجمل التاريخ العربي" ،المملكة العربية ،العدد25،الرباط ،2003م

**6_مُحَمَّد عطا الله سالم الخلفيات**

_ سقوط مدينة طليطلة قاعدة الثغر الأوسط بالأندلس 478هـ_1085م،"مجلة آداب الكوفة"،العدد44،السنة الثاني عشر،العراق ،رجب 1441هـ_2020م،

# الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| _ المقدمة | 05 |
| _ **المبحث الأول : طليطلة في العهد الإسلامي** | 08 |
| 1_ الأهمية والموقع | 08 |
| _ التعريف بالمدينة | 09 |
| _ أهميتها | 10 |
| _ نشأتها | 14 |
| _ الفتح الإسلامي لطليطلة | 15 |
| 2_ طليطلة في الحقبة الإسلامية | 16 |
| _ في عصر الإمارة | 17 |
| _ في عصر الخلافة | 19 |
| _ في عهد بني ذي النون | 21 |
| 3_ المكانة الحضارية | 23 |
| _ الأحوال الاقتصادية والاجتماعية | 23 |
| _ الحياة العلمية | 26 |
| _ المعالم الحضارية | 30 |
| **_ المبحث الثاني : سقوط طليطلة** | 36 |
| 1_ الأوضاع السياسية قبل سقوط طليطلة | 36 |
| _ حكام طليطلة من بني ذي النون | 37 |
| _ علاقة ملوك الطوائف بطليطلة | 38 |
| _ مؤامرات النصارى في استرجاع طليطلة | 42 |
| _ ثورة أهل طليطلة | 43 |
| 2_ علاقة ألفونسو بطليطلة | 44 |
| 3_ حصار طليطلة والسيطرة عليها | 46 |
| _ عوامل السقوط | 48 |
| _مصير القادر بالله بعد سقوط طليطلة | 51 |
| _ موقف ملوك الطوائف من السقوط | 52 |
| **_ المبحث الثالث : طليطلة معبر حضاري** | 56 |
| 1_ الأوضاع الاجتماعية | 57 |

| | |
|---|---|
| _ اللغة | 58 |
| _ الزواج | 59 |
| _ الأعياد | 60 |
| _ الدين | 61 |
| 2_ المجال الثقافي | 62 |
| _ دور الحكام في الحياة الثقافية | 63 |
| _ عوامل بروز الترجمة وتطورها | 64 |
| _ مدرسة المترجمين بطليطلة | 66 |
| _ نظامها وأبرز علمائها | 68 |
| _ ألفونسو العاشر ودوره | 71 |
| 3_ الجانب العمراني | 72 |
| _ العمارة المدنية | 72 |
| _ العمارة الدينية | 73 |
| _ خاتمة | 74 |
| _ الملاحق | 78 |
| _ قائمة المصادر والمراجع | 90 |
| _ الفهرس | 101 |